روايات عالمية

الملف الخطير

٥٠ مليما

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

اهداءات ٢٠٠١

المرحوم الشيخ/ احمد علي فايد

موجه اللغة العربية بوزارة التعليم

روايات عالمية

مايو ١٩٦٧
العدد ٤٢٩

الملف الخطير

تأليف : لين دايتون

ترجمة : السّيد وفائى

مقدمة

كان اتصالهما عن طريق الخط التليفونى المباشر فى حوالى الساعة الثانية والنصف مساء . ولم يكن الوزير قد فهم نقطتين واردتين بالملخص المعروض عليه . ربما كان الافضل أن أقابل الوزير .

وكان مسكن الوزير يطل على ميدان ترافلجار . واتخذ كل منا مجلسه تجاه الآخر .

ـ خبرنى بكل ما تعلم عن هذا الموضوع ، وعن القصة بكل حذافيرها تفصيلا .

هل تدخن ؟

وبينما كنت أشعل سيجارتى ، كنت أتساءل فيما بينى وبين نفسى : « كيف أبدأ ؟ » فقلت له :

ـ لا أعرف كيف أبدأ ومن أين ... ان المستند الأول بالملف ...

فقاطعنى الوزير بحركة من يده قائلا : « دعنا من الملف . ما عليك الا أن تسرد على مسامعى روايتك الشخصية . ولتبدأ بأول لقاء لك بهذا الرجل ... » ثم تأمل مفكرته مستطردا ، « جاى . نبئنى بأمره . »

ـ جاى . لقد أصبح أسمه الحركى بوكس فور .

ـ لقد اختلط الأمر على .

ثم اخرج الوزير مفكرته ودون الاسم بها . فقلت له :

انها لقصة محيرة . جد محيرة .

وأمن الوزير على ذلك قائلا : « تماما ، تماما » ، قبل ان اواصل كلامى :

ـ كنت فى ليديريرز فى حوالى الساعة ١٢ و ٥٥ من صباح يوم الثلاثاء عندما التقيت بجاى لاول مرة .

ليديريرز ! وماذا عن ليديريرز ؟

ـ ما أظن أنه سيكون من اليسير على أن أجيب عن كل سؤال وانا مستطرد في سرد قصتى . اذا لم يكن لديك مانع يا سيدى الوزير، فانى أفضل أن تدون أسئلتك كلما عن لك هذا ، ثم تستفسر منى عما تريده فيما بعد .

ـ أعدك بأننى لن أقاطعك .

وفعلا ، لم يقاطعنى ، أو يحاول شيئا من هذا القبيل ، طوال الساعات التى تناولت فيها ايضاح ما غمض من جوانب هذه القصة .

- ١ -

لا يعنينى ما تقول ، اذ ان ١٨ر٠٠٠ جنيه (استرلينى) مبلغ لايستهان به . فقد أصدرت الحكومة البريطانية تعليماتها الى بدفع هذا المبلغ للرجل الجالس الى المائدة الكائنة فى ركن القاعة يتناول طعامه .

وجاى هو الاسم الذى تطلقه الحكومة على هذا الرجل ، ذى العينين الضيقتين والشارب الكث والحذاء الضخم . وكان يعرج ئى خطوته ، رافعا سبابته الى حاجبه بين الفينة والاخرى . وكنت أعرفه كما أعرف أيا ممن خالطتهم ، لأننى واظبت على رؤية فيلم له ، فى عرض خاص بشارع شارلوت ، طوال شهر يوميا .

ولم أكن قد سمعت عن جاى من قبل . وكانت عطلة الأسابيع الثلاثة قد أسرعت بنهايتها . ولم أقضها فيما يستحق أن يذكر ، اللهم الا اذا كنت ترى في مراجعتى لمجموعة كتبى التاريخية العسكرية عملا يليق برجل مكتمل النمو .ولم يكن هذا هو رأى الكثيرين من أصدقائى .

واستيقظت من نومى وأنا أحدث نفسى قائلا ، « اليوم عمل ، » ولكننى لم أشعر برغبة فى مغادرة الفراش . وكنت أسمع صوت تساقط الأمطار قبل ان أزيح ستائر النوافذ . انه شهر ديسمبر فى لندن ـ شهر الرياح العاصفة والطقس الشديد البرودة . وأعدت اسدال الستائر مسرعا ، وجلست أفحص بريدى وأعد قدحا من الشاى ، قبل أن أرتدى ثيابى . وكان على أن أقضى أربعين دقيقة فى انتظار احدى العربات . فقد كانوا لا يحبون أن يقبلوا عبر نهر التيمس جنوبا .

ولطالمـــا كرهت أن أعين لســـائقى العـــربات وجهتى ، « وزارة الحرب » ، فكنت أسألهم السير بى الى « هـــوايت هول » ، حيث أغادر العربة عند الباب الرئيسى ، ثم أستدير حول المبنى الى مدخله الكائن بشارع هورس جاروز • ووجدت سيارات الجيش فى هـذا اليوم واقفـة أمام المدخل . ودلفت الى الدهاليز الطويلة المظلمـة ، بين صفوف من الأبواب ثبتت عليها بطاقات بيضاء بأسماء شاغلى حجراتها:

فهذا ميجور ، وذاك كولونيل ، وتلك معامل الكيمياء • وكانت الغرفة رقم ١٣٤ لا تختلف عن غيرها بخزاناتها ومكتبيها المتقابلين بجوار النافذة .

ورفع روسى ، الرجل الذى قدمت لمقابلته ، عينيه عمـا كان منشـــغلا بكتابته منذ دخولى الى الغـرفة قائلا : « حسنا ، والآن » وســـعل بعصبية • وكنا ـ روسى وأنا ـ نتبادل شعور الكراهية التى نشأت بيننا منذ بضعة أعوام . غير أن هذا لم يمنع أن نتحلى بأدب السلوك الشرقى فى علاقتنا المظهرية . ولما دعانى للجلوس عارضا على أن أدخن جلست شاكرا معتذرا عن التدخين .

وكان روسى ضابطا منتظما مرتبا ، فكان لا يحتسى الخمر بعـد الساعة السابعة والنصف مســـاء ، ولا يتحـــدث الى سيدة الا وهـو رافع قبعته . وكان أقنى الأنف ، رفيع الشارب ، ممشط الشعر ، أنيقا حسن الهندام .

ودق جرس التليفون الأسود . « أهو أنت يا عزيزتى ؟ » وكان روس ينطق بكل كلمة فى لهجة عادية ثابتة « بصراحة ، كنت سأفعـل هذا » •

وكنت قد قضيت ثلاثة أعوام فى عملى بالمخابرات الحربية .وكان روسى صورة طبق الاصل من العاملين بالمخابرات الحربية . وكانسعيدا بعمله هذا ، قرير العين بما يفرضه عليه عمله من قيود . ولقد قدر لى أخيرا أن أتحرر من كل ذلك . من خدمتى بالجيش ، ومن عملى

بالمخابرات الحربية ، ومن اتصـــالى بروس ، بعملى المـــدنى الجـــديد فى احدى وحدات المخابرات الهامة .

ـ حسنا ، سأتصل بك تليفونيا اذا ما اضطررت للتخلف ليلة الخميس .

وتسمعت الصوت الآخر على الخط يقـــول : « هل أنت مســـتعد لكل شيء ؟ »

وبعد أن انتهى روسى من مكالمته ، بدأ حديثه معى . وقد حرصت على أن أوليه كل انتباهى . قال لى وهو يشعل غليونه .

ـ اذن فستعمل بالجهاز السرى !

ولم يحاول أن يخفى امتعاضه ، فقـد كان الجيش لا يحب هـذا الجهاز ولا العاملين به ، وقد أصبحت منهم . ولن أحدثك بكل ماقاله روسي ، لانى أرى في معظمه سرا من الاسرار تضمنته ملفاته .

وكان معظم العاملين بوزارة الحرب ، وبالذات رجال المخابرات من زملائى ، قد سمعوا بأمر هذا الجهاز السرى (ووك.نى) ، وبأمر رجل يسمى دالبى . وكان دالبى مسئولا أمام مجلس الوزراء رأسا . وكان بديهيا أن تنفث عليه ، هذا الاتصال المباشر ، وحـــدات المخابرات الاخرى ، وتدأب على معارضته ومهاجمته . وكانت سلطة دالبى لاحدود لها ، شأنه فى ذلك شأن كل من يتولى مثل هذا العمل . وكل من ألحق بالعمل معه ، أستبعد اسمه من الجيش ومن سجلات وزارة الحـرب لدواعى تتصل بمصلحة العمل الجديد .

وراجعنا معا كل ما اتصل بنشاطى أثناء عملى بالمخـــابرات الحربية طوال هذه السنوات الثلاث ، وكان لايفتأ يردد أسفه على حـــرمان المخابرات من عملى بها ، وحسده لمستر دالبى ان استطاع أن يضمنى الى جهازه .

وكانت مكاتب هذا الجهاز الذى يتولى رئاسته دالبى ، كائنـة باحدى بنايات شارعخلفى طويل من الشوارع المحاذية لشارع أكسفورد وكان هذا هو كهف دالبى كما يطلقون عليه . وارتقيت الدرج الىالطابق

الثـــالث ، حيث دخلت محييـــا أليس التى كانت تحتسى قـــدحا من النسكافيه ثم عرجت الى غـــرفة خلفية ، حيث التقيت بتشـــيكو الذى كان يسر لرؤياى دائما . وكان من حرس الفرسان قبل أن يلتحق بالعمل بهـــذا الجهاز ، طويل القامة متوقد الذهن ، بادى الثراء .

واجتزت الدهليز الى الدرج الخلفى ، لأهبـــط الى قاعة عـــرض الافلام ، حيث كان يجب أن أتواجـد بها يوميـا فى تمام الســـاعة التاسعة وأربعين دقيقة صباحا . وكنت أتجه رأسا الى المقعد رقم ٢٢ الذى خصص لى .

ويبدأ العرض بهذه الكلمات جاى . ليدز . وارين ٣ . (وارين ٣ اشارة الى الامر الذى صور الفيلم بمقتضاه) . وتظهر صورة جاى على الشاشة ، وهو يسير بين حشد من المارة . وكان شاربه العلامة المميزة له . ولاحظت أن عرجـه لايعجزه عن متابعة ســـيره وســـط الازدحام . ثم شاهدت جاى فى صحبة زميل اسمه الحركى « هاوس مارتن » . وكان طويل القـامة ، وسيما ، يرتدى معطفا من صـــوف الجمل . كما كان أشيب الفودين متموج الشعر ، يتحلى بالكثير من الخواتم الذهبية ، وتنفرج شفتاه عن ابتسامة لايتغير طابعها .

وكان تشيكو هو الذى يتولى عرض الافلام ، مرددا نظرية دالبى « اعرف عدوك » بين لحظة وأخرى . وكان يعتقد أنه على جميـع العاملين معه أن يتعرفوا على جميع نواحى حياة الجاسوسية ، حتى تتهيأ لهم خير الفرص للكشف عما يجول بخواطرهم .

وكان دالبى من المدرسة الانجليزية بكل معنى الكلمة ، ومن هذا الطراز من الرجال الذين يوفقون بين واجبهم وبين الدعة والراحة . وكان طويل القـــامة ، أشقر الشعر ، يرسل شاربه حينا ويزيله حينا . ولم يكن له شارب حينذاك . سألنى وهو جالس الى مكتبه قائلا :

ـ لعلك مرتاح الى عملك معنا !

ـ لقد حضرت الى هنا بذهن صـــاف وقلب نقى . وها أنا

أقضي من يومى ثمانى ســاعات في نوم عميق . اننى موظف مخلص مجد ، وسأبذل أقصي ما في وسعى لاكون جديرا بثقة رئيسي ورعايته .

ـ هل تظن أنه قد آن الأوان لتكليفك بمهمة خاصة ؟

ـ هذا اذا لم تكن تتطلب تعليما كلاسيكيا .

ـ عليك أن تصدع بما تؤمر ، دون شكوى أو تذمر .

وكان جادا في كلامه ، يضرب الارض بقدمه والمكتب بقبضته . ثم استطرد قائلا :

ـ لقد اجتمعت بكبار رجال المخابرات صباح اليوم . ان وزارة الداخلية في قلق ممض بسبب تكرار حـوادث اختفـاء كبار علمـاء الكيمياء الحيوية .

ـ هل من جديد ؟

ـ هذا الصباح . لقد غادر أحدهم منزله في الساعة السابعة وخمسة وأربعين دقيقة صباحا ، ولم يصل الى المعمل بعد .

ـ أهو اخلال بالواجب ؟

وأصـــدر دالبى أمره الى أليس عن طريق التليفـــون الداخلى : « افتحى ملفا جديدا باسم حركى لحادث هذا الصباح . » وكان هذا هو أسلوب دالبى في اصداره لأوامره ، أسلوبا مقتضبا محددا . وكنا نفضل هذا الاسلوب عن غيره من أساليب وزارة الحرب الطويلة المعقدة . وسمعت صوت أليس الذى لم أتبين منه شيئا ، ثم سمعت دالبى يجيبها قائلا : « الى الجحيم برسـالة وزارة الحـرب هـذه . افعلى ما أمرتك به » . وبعد لحظة صمت قصيرة ، اتصلت به أليس لتبلغه برقم الملف وبالاسم الحركى « رافن » .

وبعد أن فرغ دالبى من ذلك ، التفت الى قائلا : « انهم يسدلون سترا من السرية على اختفاء رافن ، ولكننى قلت لهم أن وليم هيكاى سيحصل على صوره الفوتوغرافية قبل منتصف النهار .

تامل معى هذه » . ووضع دالبى فوق مكتبه خمس صور فوتوغرافية صغيرة . ولاحظت أن رافن في نهاية الحلقة الرابعة من عمره ، أسود الشعر غزيره كثيف الحاجبين ، عظمى الأنف . ثم استطرد معلقا : « بهذا يصبح العدد ثمانية ، اختفوا في ستة أسابيع ونصف » .

ـ من المؤكد أن وزارة الداخلية لم تكلفنا بمساعدتها .

ـ كلا . ولكننا اذا ما عثرنا على رافن ، فسيعمد وزير الداخلية الى تسريح ادارة مخابراته المرتبكة ، ويعهد الينا باختصاصها ونتسلم ملفاتها .

ـ اذا ما عثرنا عليه ! وكيف نبدأ هذا ؟

ـ كيف تبدأ أنت ؟

ـ ليست لدى أية فكرة عن ذلك . قد أبدأ من المعمل ، أولى من الاتصال بزوجته ، التى قد لا تعرف الكثير عما ألم به أخيرا . وقد أتصل بمدير البنك الذى يتساءل من أين له كل هذا ؟ . وقد أمسك بطرف الخيط من كلمة تصدر عن أحد زملائه من العلماء .

ورمقنى دالبى بعينين فاحصتين . ثم نهض عن مقعده واتجه الى الخريطة الكبيرة المثبتة الى الحائط حيث لحقت به قائلا : « أوتظن أن جاى مسيطر على الموقف ؟ » وظل دالبى محدقا بخريطة أوربا لحظة ، ثم أجابنى ، « أنا واثق من هذا كل الثقة . » ولاحظت أن هناك خمس علامات لمناطق تمتد من فنلندا الى بحر قزوين مؤشر عليها بالقلم الاسود . كما لاحظت أن هناك بقعتين فى سوريا مثبت عليهما العلم الاحمر .

وسمعت دالبى يقول : « ان لجاى دخلا فى كل حركة غير مشروعة تقع في نطاق هذه الخطوط السوداء . كل حركة لها أهميتها . يجب علينا قبل أن يصل الى هذه الحدود ... » ثم لم أستطع أن اتبين شيئا مما كان يتمتم به وهو مستغرق في أفكاره ، يدق بسبابته على الخريطة . واخيرا التفت الى قائلا :

ـ « ان الامر ليس أمر اخلال احد علماء الكيمياء الحيوية بواجبه .

كما أنه ليس كما تصوره الصحف ، عملية اختطاف تحت تهديد مادى في صورة هجرة مقنعة . أو هى هجرة كيميائى عادى كان يبيعهم أسرار عمله طوال هذه السنين . كلا . انها أكبر وأوسع نطاقا من ذلك . وانها صورة ناطقة لاهمال رجال وزارة الداخلية الجسيم ، الذين كان من الواجب عليهم أن يمنعوا وقوع شيء من هذا القبيل ، بدلا أن يثيروا الدنيا ويقعدوها بعد وقوعه . ألست معى في أنه لو تيسرت لنا جميع امكانياتهم لكنا جنبنا البلاد الكثير مما يحدث »

ـ أعتقد أنه كان بوسعنا أن نقوم بالكثير .

وسره منى هذا الرأى . وبعد أن قدم الى سيجارة وأشعل لنفسه أخرى قال :

ـ « ومن هذا يمكنك أن تدرك مدى ما لهذه القضية من أهمية . انها ليست بالقضية العادية .

ـ « أجل . ويجب ألا ندخر وسعا فى بلوغ غايتنا بكل وسيلة ممكنة » .

وأطرق دالبى برهة . ثم واجهنى قائلا : وهو يضغط على مخارج الكلمات بين شفتيه ، متمهلا عند مقطع منها « اذهب واشتر لى رافن هذا » .

ـ من جاى ؟

ـ من أى من يكون ـ اننى رجل واسع الأفق .

ـ فى حدود أى مبلغ ؟

ـ « ان جاى رجل واسع الحيلة . وانه لمحيط بكل الظروف مقدر لخطواته ، وما أراه الا محتفظا برافن هذا لفترة ما حتى تهدأ العاصفة فاذا ما استطعنا أن نتصل به أثناء هذه الفترة وعرضنا عليه عرضا مناسبا ... وبعد أن توقف دالبى عن متابعة الكلام قليلا وأطرق مفكرا استطرد قائلا : « ... لنقل ١٨٫٠٠٠ جنيه ، وما عليه الا أن يعين لنا مكان وجوده ـ دون أن نوجه اليه أسئلة ما . »

ـ ثمانية عشر ألفا ؟

ـ ويمكنك أن ترفع المبلغ الى ٢٣ر٠٠٠ جنيه ، حسبما يتراءى لك . على أن يكون الدفع بعد التسـليم عن طريق أحد البنوك السويسرية . وأريد رافن حيا ، لم يمسسه سوء .

فليكن . وشعرت فجأة بجسامة المهمة الملقـاة على عاتقى . وقدرت ما لعمل هـذا الجهاز الذى ألحقت به من أهميـة تتناسب مع ما يغدق عليـه من أموال . ووجـدتنى أتساءل قائلا : « وهل أبدأ بالبحث عن جاى ؟ » ثم شعرت بعد أن ألقيت بسؤالى ، بأنه لم يكن ثمة داع لتوجيهه ، لولا ما كنت أشعر به من هيبة ووجل .

وبعد أن اتصل دالبى بأليس ليستفسر منها عن آخر الأنباء بشأن تحركات جاى ، التفت الى قائلا :

ـ كان آخر مكان شوهد به جاى ، مقهى ليديريرز ، فى تمام الساعة الثانية عشرة والدقيقة العاشرة . فلتبدأ من هنا .

فنهضت متأهبا للانصراف ، ولكنه استوقفنى قائلا :

ـ مهلا ، فثمة أمران أريد أن أوضحهما لك . أولا ، أنه مصرح لك بمبلغ ١٢٠٠ جنيه سنويا كنفقـات خاصة . وثانيا ، لا تتصـل بى اذا ما ساءت الامور ، لأننى سأتجاهل أمر ما تحدثنى به .

ـ ٢ ـ

واجتزت شارع شارلوت في طريقى الى سوهو ، في صـباح يوم من أيام شهر يناير الساطعة شـمسها . وسرت على مهل حتى بلغت مقهى ليديريرز في الوقت الذى حددته لنفسي .

وهناك وجدت جاى ، ببشرته العاجية ، وعينيه الضيقتين ، وشعره الغزير . وكان يجلس الى مائدة في مواجهة مدخل القاعة .

وليس من شك في أنه رآنى عند دخولى . ولم أكن قد رأيته من قبل. ولكننى عرفته بمجرد أن وقع نظرى عليه . عرفته من كثرة ما رايته في العرض الخاص طوال شهر بأكمله . لقد كنت أعرف كل شيء عنه ، اللهم الا كيف أوفق معه في اقنـاعه بأن يبيع لى عالما في الـكيمياء الحيوية بمبلغ ١٨ر٠٠٠ جنيه .

واتخذت لى مجلسا بجوار المدفأة . وفي الناحية الأخرى من مائدة جاى ، وقع نظرى على وجه هاوس مارتن الوسيم ، زميله في الفيلم الخاص الذى كنت أتابع مشاهدته بشـــارع شارلوت واشـعلت سيجارة ، ورحت أنفث دخانها متأملا حلقاته . ولاحظت أن هاوس مارتن يميل على المائدة ويهمس في أذن جاى ثم يتطلعان الى ناحيتى .

وأقبلت الساقية ، فسألتها أن تأتينى بقدح من الشاى وقطعة من فطيرة التفاح . وبعد أن فرغت من تناول طعامى ، رحت أبحث في جيوبى عن بعض البطاقات التى كنت أحتفظ بها لهذه المناسبة . ولكننى لم أجد من بينها ما يقنعنى بصلاحيته ، فنهضت الى حيث يجلس جاى ، وحييته مقدما نفسي اليه ، ((بيميش ، ستانلى بيميش)) فأومأ جاى برأسه . ثم استطردت قائلا ، ((أو يمكن أن ننتحى جانبا لنتحدث على انفراد ؟ اذ لدى عرض مالى أريد أن أطلعك عليه)) . وما كان من جاى الا أن أخرج حافظته على مهل ، وقدم لى منها بطاقة كتب عليها ((هنرى كاربنتر ـ استيراد وتصدير)) . ثم مد يده ليتناول البطاقة ويعيدها الى حافظته الفخمـة . وبعد أن تأمل ســاعته اضطجع في مقعده قائلا :

ـ اذن فستدعونى للغداء ؟

ـ لا أستطيع ذلك . لأن مرتبى متأخر صرفه ، ولم تعتمد حسابات نفقاتى الا صباح اليوم .

ودهش جاى من صراحتى هذه ، وسألنى قائلا :

ـ وكم تبلغ نفقاتك المعتمدة ؟

ـ ألف ومائتان .
ـ في السنة ؟
ـ أجل .
ـ هذا قليل . فلنطالبهم برفعه الى ألفين على الأقل .
ـ انى فاعل ذلك لامحالة .
ولم أشأ أن أعارض جاى منذ البداية ، وان كنت لا اعتقد أن دالبى سيوافق على شيء من هذا القبيل .

وانتهى الأمر بأن دفع كل منا قائمة حسابه ، ثم خرج ثلاثتنا الى شارع واردور ، وجاى يتقدمنا . وكانت الشوارع مزدحمة شأنها في ذلك شأن شوارع لندن الكبرى في هذه الساعة من النهار .

وواصلنا سيرنا حتى توقفنا أمام أحد الملاهى الكبرى . وتقدمنا جاى الى الداخل مبتسما لهذا مداعبا ذاك . ولاحظت أن المدير يتأملنى بعين فاحصة ، لأن مظهرى لم يكن ليتناسب مع مظهر الأثرياء من مرتادى حى الوست اند .

واغمضت عينى حتى تألفا الظلام . وفتحتهما لأجد على يسار الداخل قاعة بها حوالى الستين مقعدا ومسرحا صغيرا . وعلى مقدمة المسرح أبصرت فتاة بدينة في ثياب داخلية سوداء تنشد أغنية تناسب الساعة الثانية وعشر دقائق من بعد ظهر يوم ثلاثاء بوسط لندن .

وسمعت هاوس مارتن يقول ، « سننتظر هنا » ، وارتقى جاى الدرج القريب من اللافتة المكتوب عليها « بار باروسا ـ للأعضاء فقط » بسهم يشير الى أعلى . وانتظرنا ـ ولم يكن لمن يرانى ليظن أننى مقدم على عملية تبلغ قيمتها ١٨ر٠٠٠ جنيه . وقرعت الطبول ودوت في القاعة الألحان الراقصة ، وتوالى ظهور الفتيات على خشبة المسرح ، ما بين البدينة والنحيفة ، والطويلة والقصيرة والمكتملة الثياب والعارية . ولاحظت ان هاوس مارتن جد مسرور بمشاهدة هذا العرض .

واخيرا نهض عن مقعده معتذرا بالتوجه الى دورة الميـاه . وحاولت احدى الفتيـات أن تبيعنى برنامجا تذكاريا ، فاعتـذرت شاكرا ، قائلا : اننى أفضل ابتياع بعض لفافات التبغ مما تحمله معها . وبينما كنت أعاونها في البحث عما أريد ، سمعتها تقول لى ، « يحسن بك أن تعود من حيث أتيت . ولن تحصل هنا على شيء » . ثم قدمت لى ما أبغى من لفـافات التبغ ، وأعطيتهـا ورقة من فئـة العشرة شلنات . فشكرتنى ولم ترد لى الباقى . ففهمت وشكرتها بدورى ، وانصرفت عنى لتواصل مرورها بين صفوف المشاهدين .

وتلفت حـولى وتأكدت من أن أحـدا لا يراقبنى . وارتقيت الدرج الى الطابق الاول حيث وجدت أن الباب الوحيـد مغلق . فواصلت طريقى الى الطابق الثانى حيث وجدت لافتة سـطر عليها « خاص ـ لموظفى الادارة فقط ». فدفعت الباب لأخطو الى دهليز طويل مشيت فيه على حذر . ووجدت به أربعة أبواب على يمين الداخل فقط . وفتحت الأول منها لأجد خلفه دورة للمياه . ووجدت على الباب الثانى لافتة مسطرا عليها « المدير » ، فطرقته قبل أن أفتحه ، لأرى أمامى غرفة مكتب مستكملة الأثاث وبها جهاز تليفزيون .

ولم يكن بالغرفة أحد . واجتزتها الى النافذة . وتطلعت منها لأجد رجلا بالشارع أمام عربة يد محملة بالفاكهة فعدت أدراجى الى الدهليز ومنه الى الباب التـالى الذى فتحتـه لأجـد أمامى حـوالى العشرين فتاة شبه عاريات يستبدلن ثيابهن . ولم يبـد عليهن أن اقتحامى عليهن خلوتهن قد افزعهن ، بل واصلن ماكن فيهِ من حديث وحركة . فأسرعت بغلق الباب ، واتجهت الى الباب الرابع والأخير.

وفتحته لاجد أمامى غرفة كبيرة مجردة من كل أثاث ، قد أحكم غلق نوافذها . وفي منتصف أرضية الغرفة ، ثبتت سـتة ألواح من الزجاج السميك . ولاحظت أن الضوء ينفذ منها صاعدا من الغرفة السفلى . وتطلعت منها لأرى مائدة روليت مستطيلة . ولم يكن بالغرفة

أحد ، اللهم الا هذا الرجل الشاحب في حلته السوداء ، المُمدد على المائدة الخضراء • وكأنى به كان ، وهذا ما اتضح فيما بعد : رافن •

- ٣ -

وعدت أدراجى الى الدهليز ومنه الى الدرج هابطا الى الطابق الأول حيث عالجت بابه الذى وجدته مغلقا كما كان عند صعودى .

ولم أكن قد اتفقت بعد على شيء مع جاى . واذا ما كان هذا الرجل هو رافن حقا ، فأنا في حل من التصرف حسبما يتراءى لى . وهكذا أسرعت بالعودة الى الطابق الأعلى ومنه الى غرفة المدير مباشرة، حيث حملت الآلة الكاتبة التى كانت موضوعة على مكتبه ، وانطلقت بها الى الدهليز ومنه الى الغرفة الأخيرة ، حيث أودعتها أرضية الغرفة . وفي تلك اللحظة رأيت هاوس مارتن بالغرفة السفلى .

وهاوس مارتن رجل قوى البنية فارع الطول عريض المنكبين .

ورأيته يدفع رافن عن مائدة الروليت في سهولة ويسر ويتجه به صوب باب القاعة • وحينئذ ، رفعت الآلة الكاتبة وتركتها تسقط بكل ثقلها على أحد مربعات الزجاج الذى نفذت منه وهوت الى قاعة الميسر الكبرى حيث اصطدمت بمائدة الروليت ومنها الى أرضية القاعة . وقمت بنزع بقايا اللوح الزجاجى المحطم من حواف مربعه الذى تدليت منه قفزا الى مائدة الروليت . وفجأة توقف صوت الموسيقى الذى كان يملأ أرجاء المكان ، لأسمع صوتا يردد في المذياع ، « سيداتى وسادتى ، ان الشرطة تقوم بتفتيش المكان . نرجو الا يتحرك أحد من مقعده ... » وكنت في هذه اللحظة قد اجتزت قاعة الميسر الى الباب الذى خرج منه هاوس مارتن حاملا رافن . وهبطت الدرج الحجرى قفزا ، الى حيث وجدت بابين كتب على أحدهما « خروج

الطوارىء » . فتحته قليلا لأرى أربعة من رجـال الشرطة في زيهم الرسمى واقفين على الرصيف . فأوصدت الباب وأعدت الكرة مـع الباب الآخر . وهناك وجدت ثلاثة رجال في منتصف العمر . ورأيت احدهم يفرغ محتويات جيبه فى أحد الاحواض . وآخر يساعد الثالث في تسلقه لنافذة صغيرة . وعدت أدراجى لارتقاء الدرج الى باب كنت قد مررت به فى هبوطى . ودفعته ، فتحرك ببطء لأنه كان ثقيـــلا ، ونفذت منه الى زقاق مملوء بالأقفاص وعلب الكرتون . ووجدت أمامى بابا آخر ، دخلت منه لألتقى برجل في حلة السقاة سألنى وهو يحدجنى بنظرة فاحصة ، « هل تريد وجبة كاملة ؟ » فأجبته دون تفكير : « أجل » .

ـ فلتجلس . اذ أننى لن أقـــدم القهوة الا مع الطعـــام . سآتيك بطعامك فورا .

وجلست . وأخرجت من جيبى احدى لفافات التبغ التى ابتعتها من الفتـاة بائعة البرامج . وعندئذ اكتشفت أن فى جيبى شيئا جديدا عليه . فقد عثرت بعلبة سوداء من ورق الكرتون بها محفنة تحت الجلد ، وتبادر الى ذهنى ما قالته اى الفتاة ، « عد من حيث أتيت ، فلن تحصل هنا على شيء » . ترى ماذا كانت تعنى هذه الفتاة بقولها هذا ؟ وجلست أقلب الأمر وما استجد من أحداث على كل وجه .

ـ ٤ ـ

اتصلت تليفونيا بدالبى عن طريق الرقم السرى ، وأحطته علما بحقيقة الموقف دون الدخول في التفاصيل . ولاحظت أنه سر بما أخبرته به ورضي عن جميع تصرفاتى ، بصرف النظر عن النتائج ، التى يرى أنه مسئول عنها . وأنهى حديثه معى قائلا :

ـ سأعهد اليك بمهمة خطيرة فى الاسبوع القادم • وسأتحدث الى أليس بشأنها • وأريد أن تغير أوراقك فى هذه الفترة •

وعدت الى منزلى ، وأنا أفكر فى موضوع تغيير أوراقى الشخصية • إنه يعنى الكثير : صور فوتوغرافية ، ومستندات ، وبصمات أصابع ، الى آخر ما يتطلبه ذلك . فهناك مكتب عامر بالموظفين المدنيين بوزارة الحرب ، الذين ليس لهم عمل غير ذلك على مدار السنة . وتوجهت في يوم الخميس الى الغرفة الصغيرة في أعلى مبنى الادارة التى يرأسها مستر نيفينسون . وبين يدى هذا الرجل ومن يعملون معه ، تمر أوراق كل موظف له أهميته الخاصة في حكومة جلالة الملك .

وفي هذه الادارة يتغير كيانك وتتبدل شخصيتك ، وتصبح رجلا آخر بجواز سفرك وبشهادة ميلادك وبوثيقة زواجك ، الى آخر تلك الوثائق والمستندات . ويستغرق هذا أربعة أيام . واليوم يبدأ هذا معى ، مستر نيفينسون .

ـ ثبت عينيك فى آلة التصوير ، شكرا • وقع بامضائك هنا، شكرا . وهنا ، شكرا . بصماتك هنا ، شكرا . وابهامك هنا ، شكرا . والآن جميع الأصابع معا ، شكرا . سنكون على اتصال بك، الى اللقاء !

ـ ٥ ـ

وفي يوم الاثنين ، توجهت الى شارع شارلوت في الموعد المعتاد. ووجدت سيارة عند منحنى الطريق تجلس أليس الى عجلة قيادتها . وتظاهرت بأننى لم أرها ، ولكنها نادتنى ودعتنى لمرافقتها . وبعد ان انطلقت بنا السيارة سألتها :

ـ الى أين ؟

ـ لاستدراج رافن الى فخ . فيما اعتقد .

ولم أعقب بشيء . لأننى لم أجد ما أعقب به على اجابتها . فاستطردت :

ـ تأمل هذا . وناولتنى لعبة من اللباد تشبه تلك التى رفضت شراءها في نادى العرايا منذ أسبوع . « هناك » . وأشارت بأصبعها بينما رحت أتأمل الكلب اللبادى بين يدى . ولاحظت أن بعض حشوه يبرز من رأسه ، فتحسسته في كل مكان منه . « لعلك تبحث عن هذا ؟ » ورأيت بيدها آلة فوتوغرافية صغيرة ، ورنت الى بنظرة ساخرة ، أم لعلها كانت تتأملنى ساخرة أثناء بحثى وتأملى لادمية . فقلت :

ـ لقد كنت فى منتهى الغباء ..

ـ حاول ألا تكون كذلك ثانية .

وتوقفنا فى طريق جسر فوكسهول خلف سيارة روفر سوداء . وسلمتنى أليس مظروفا كبيرا منتفخا مختوما بالجمع ، ثم فتحت باب السيارة وتبعتها . وتقدمتنى الى السيارة الروفرحيث أجلستنى بالمقعد الخلفى . وكان السائق مرتديا معطف البحرية الأزرق . وانطلقت بى السيارة الى المطار . وفي الطريق فضضت المظروف انذى وجدت به جواز سفر بادى القدم ، ومفتاحين ، ورسالة ، وثلاث صور فوتوغرافية صغيرة ، وتذاكر سفر جوية ، على طائرات بى ـ أو ايه سي بالدرجة الأولى . وحددت لى الرسالة مواعيد الطائرة ، ورقمها ، « ب . أ ٧١٢ . قيام من مطار لندن ١١ر٢٥ . وصول الى مطار بيروت الدولى ٢٠ر٠٠ . » وعن الصور الفوتوغرافية ورد بها : « الصور الفوتوغرافية : رافن . تحرق فورا » . ولم تكن الرسالة مؤرخة . وكان مرفقا بأحد المفتاحين رقم : « ٢٥ » . وبعد أن تأملت الصور الفوتوغرافية ، أحرقتها مع الرسالة .

وما ان وصلنا الى المطار ، حيث تحدث الى السائق لأول مرة

قائلا : ـ متاعك فى الصوان المحجوز عبر البهو . وغادرت السيارة الى حيث وجدت الصوان الحديدى رقم ٢٥. ، وفتحته بالمفتاح المرقم الذى كان معى ، لأجد بداخله حقيبة جلدية سوداء واخرى زرقاء . وحملتهما عبر البهو للتفتيش عند الحاجز الجمركى . وبعد أن انتهيت من هذه الاجراءات ، ابتعت بعض الصحف والمجلات ، واتجهت الى الباب المؤدى لأرض المطار . ووقفت أشاهد بعض المسافرين وهم يودعون ذويهم . ووقع نظرى على روس في معطف للمطر . ولم أرغب في الالتقاء به ، وما أظنه الا أنه كان يبادلنى هذه الرغبة ، لولا أن الازدحام قد اضطرنا الى مواجهة كل منا للآخر . فأومأت اليه محييا .

وأعلن صوت الفتاة في المذياع أن الطائرة ب.أ ٧١٢. بسبيل الاقلاع . واجتزنا أرض المطار الى الدرج المتحرك لنصعد الى الطائرة. وكان مقعدى بجوار رجل بدين غليظ العنق بادى الغباء .

وانطلقت الطائرة بنا أخيرا . وبعد قليل أقبلت المضيفة تحمل الينا المشروبات . وعلمت من رفيق الرحلة أن اسمه جرافيل جيرتى. وتبادلنا الأنخاب . وكان من هذا الطراز المرح من الرجال ، الذى لا يفتأ يثرثر ، فاذا لم يجد كلاما ترنم بمختلف الألحان .

وأعلنت المضيفة قرب وصولنا الى روما ، قائلة : ان فترة التخلف بالمطار هى ٤٥ دقيقة ، ولمن شاء أن يبقى بالطائرة أن يبقى بها على ألا يدخن أثناء تموينها بالبنزين .

وعندما حلقت الطائرة في سماء المدينة الخالدة ، عرضت على جارى أن يجلس في مقعدى المجاور للنافذة لينعم برؤية أشمل . ونهضت متجها الى دورة المياه التى وجدتها « مشغولة » ... ووقفت أنتظر بالممشي الجانبى حيث تودع الأمتعة .

وهناك ، أخرجت حافظة رفيقى في السفر ، التى كنت قد التقطتها من بين ثنيات جيبه أثناء تبادلنا المقاعد فوق سماء روما .

ورحت أنقب بين محتوياتها التى عثرت من بينها على بطاقة أحد الأندية باسم هاريسون ، ب.ج.د. ، وبعض الصور الفوتوغرافيـة . وكان على أن أسرع بتصـفحى لكل ما عثرت عليه قبل أن تكتشف المضـيفة غيابى عن مقعـدى وتعيدنى اليه قبـل هبوط الطائرة . وكانت الصـور الفوتوغرافية الثلاث الأولى من صور الجوازات فى أوضاع مختلفة ، ولكنها كانت لرجل واحد عرفت فيه ضالتى رافن . أما الصـور الثلاث الأخرى فكانت لرجل أسود الشعر ، مستدير الوجه ، كتب على ظهـرها (٥ر١١) ، مع بعض الأوصاف المميزة الأخـرى . وتأملت الوجه المألوف ثانية . اننى أعرف هاتين العينين . لقد رأيت هذا الوجه من قبل . ولطالما رأيته في المرآة وأنا أحتلق . ولمحت بخاطرى فى هذه اللحظة صورة جارى فى مقعد آخر غير مقعده بجوارى . صورته وهو جالس الى البار في نادى الغرايا ، عندما وقع نظرى عليـه في اللحظة التى قالت لى فيها بائعة السجائر : « عد من حيث أتيت » .

وأسرعت باعادة كل محتويات الحافظة الى مكانها منها ، وعدت ادراجى الى مقعدى بين احتجاج المضيفة لتأخيرى في تثبيت حزام الهبوط . وألفيت جارى قد عاد الى مقعده ، كما لاحظت أن معطفى قد سقط فوق حافظة أوراقى . وانحنيت ألتقط معطفى وألقى بحافظة جيب جارى تحت مقعده . وما ان رفعت معطفى ، حتى شـاهدت قطعا دقيقا بظهر حافظة أورافى . قطع محترف يعـرف ما هو فاعل . قطـع يكفى لالقاء نظرة على محتويات الحافظة . واعتدلت في مجلسي مختلسا النظر الى جارى الذى رأيت عينيه الباسمتين من خلال عدسـات نظارته السميكة .

وما ان اسـتقرت الطائرة بالمطـار ، حتى تركتهـا الى مكتب البريد واستبدال العملة قتلا للوقت . وهناك سمعت من ينادينى قائلا : اهلا ، هارى .

ولم يكن اسمى حينئذاك هارى ، غير أنه من العسير على المرء

أن يذكر في عملى هذا ، متى كان هذا هو أسمه . واستدرت لأجد أمامى سائق السيارة الذى كان معى في لندن .

وكان يحملق فيما حولنا بعينين حذرتين فاحصتين . ومر براحته على جانب رأسه قائلا : « المقعد ١٩ .. »

« متعب » . بهذا أسرعت معقبا بلفتنا المصلحية . ثم استطردت قائلا :

ـ والآن خبرنى ، لقد « شرح » حقيبة يدى ».

ـ انه فاعل ذلك ما دام هنالك ما يدعو الى هذا بداخلها .

ـ أو فيها فعلا ما تشير اليه ؟

ـ كن آخر من يترك الطائرة فى بيروت . دع هذه لى ـ وحملق كل منا في الحقيبة ـ « لأحملها عبر الحاجز الجمركى » . وتركنى مودعا ، بعد أن علمت بأن رفيقى في السفر كان يدعى فاتسو .

وعدت لأستقل الطائرة ، ولكن فاتسو لم يعد اليها . ونمت ملء جفونى ولم أستيقظ الا بعد أن اجتازت بنا الطائرة ساحل لبنان . وما هو الا قليل حتى هبطت بنا مطار بيروت .

وبعد أن انتهيت من الاجراءات الجمركية ، أودعت حقيبة ثيابى احدى سيارات الأجرة ، وسألت السائق أن ينتظر . ثم أسرعت أرتقى الدرج الى حيث وجدت « سائق لندن » يحتسي قدحا من القهوة . وسلمنى حقيبة أوراقى ، ولفافة ثقيلة ، وزودنى بنظرة محذرة ، قبل أن يخبرنى باسم الفندق الذى سأقيم به بالمدينة .

تآمرت المبانى الشاهقة على أن تحجب عنى مياه البحر الصافية، عند ماكنت أطل من بين شرائح الستارة المعدنية لنافذة حجرتى . ووقع نظرى عبر الطريق ، على رجلين بدينين ، يجلسان في الناحية

الأخـــرى منه ، يتضـــاحكان وهما يحتســـيان « العـرقى » ليطفئـــا ظمأهما في هذه الساعة من منتصف نهار شـــديد القيظ . ووقفت أقطع الوقت بالتطلع الى الراحين والغـادين من مختلف الجنســـيات ، والى سيارات الأجرة المرسيدس التى لا تتفق بحـال ما مع مركبـــات الترام العتيقة . وكانت أشعة الشمس تجـد طريقها الى الغرفة ٦٢٤ التى حجزتها لى الادارة ، لتشعرنى بحرارة الطقس بالرغم من جهاز التكييف الذى كان ينشط لكى يبدد آثارها . وكانت الغرفة ٦٢٤ ، مجهزة بكل ما يجعل اقامتى بها مريحة ــ من غرفة استحمام الى فريجيدير الى تليفون بجوار الفراش وآخر في غرفة الاستحمام.

وبعد أن استقر المقام بى ، وأعددت لنفسي قدحا من القهوة ، رأيت أن أتحرى أمر أمتعتى . ووجدت بعد فتح الحقيبة الخاصة بحاجياتى ، أن اليس لم تنس شـــيئا ، وبدأت أحب عمـــل بهـــذه الادارة . وفي حقيبة أوراقى وجدت صندوقا صغير الحجم ثقيـــل الوزن من القصدير ، مكتوبا عليه «و . د . /٢١٢/٣١٠ . قنبلة .» اذن فهذا الصندوق هو ما كان يبحث عنه فاتسو . أما اللفافة التى سلمنى اياها « ســـائق لندن » فكانت مظـروفا بداخله حقيبـــة بهـا مسدس غير عادى مزود بخزينة للطلقات ومعه خمس وعشرون طلقة اضافية ، وجراب جلد للمسدس بحزام يتدلى من الكتف . وبعد أن فرغت من ذلك ، جلست أحتسي قدح القهوة وأستعرض ما قد أبلغ به من أوامر عاجلة : أوامر المحاولة الاخيرة للحاق برافن ، عـــالم الكيمياء الحيوية ، قبل أن يصبح بعيدا عن متناول يدنا ، ويختفى بحيث لا نستطيع به لحاقا .

يتدرج الطريق الداخلى من بيروت صعودا الى الجبال ، بين القرى الغارقة بين أشجار الزيتون ، وكأنهـــا تتشبث بهـــا خشـــية التدحرج على منحدراته . وتنظر الى أسفل ، فتجد خليج سانت جورج الى مرمى البصر شمالا ، وتتطلع الى أعلى لترى قمم الجبال التى

اكنست بالثلوج طوال ستة أشهر من السنة ، وقد رصعت بالزهور والبراعم الصفراء • وما ان يبـــلغ الطريق ذروة ارتفاعه ، حتى يعود فجأة الى الانحـدار ، ليتقاطع مع الطريق المتجه عبر سلســـلة الجبـال الأخرى ، الممتد خلفها بحر من الرمال الساكنة الخالية من كل مظـاهر الحياة حتى حدود بلاد الفرس • وعلى امتـداد الطريق تقع سوريا بالقرب من تخوم لبنان •

ولم يكن الطريق بالسهل المستقيم ، بل كان ينحدر وينعطف في منحنيات تشرف على الهـاوية الســحيقة البعد • وعلى الصخور الناتئة مستترا ببعضها ، يستطيع المـرء أن يتوارى عن الأعين ، ويرى من مكانه هذا الطريق الممتد شرقا الى أكثر من مائة ياردة ، وتجاه بيروت الى أكثر من ثلثماية ياردة ، بل وانه ليستطيع من مكانه هذا أن يرى المار بالطريق عبر الجبال بمنظاره المكبر . كما يمكنه أن يتصل بمن شاء من أصدقائه المارين بهذا الطريق في أى اتجاه منه ، اذا كان معه جهاز ارسال ترانزستور . وفي هذا المكان ، في حوالى الساعة الثالثة والنصف صباحا ، كان هناك رجل يقطع وقته بعد النجوم ، ويكاد أن يسقط اعياء من طول انتظاره وتحديقه من خـــلال منظاره ، ويكاد معدن جهاز ارساله أن يبعث باشارات الشكوى من أطرافه التى كادت أن تتجمد من شدة برودته ، وراح الرجل يستعرض في ذهنه من يستطيع أن يتصل بهم من أصدقاء لاعفائه من عمله هذا والحـاقه بعمل آخر . ولست أأومه على تفكيره هذا ان هو أقدم على تنفيذه وكانت الساعة ٣ ر٣٢ دقيقة صباحا ، عندما رأيت المصـــابيح الأماميـة لسيارة قادمة فى الطريق الجبلى . وفتحت جهازى لأتبين الحركة على الطريق من التفاصيل التى كان يبعث بها مذيعنا الخاص الى دالبى. وسمعت دالبى يزمجر بعد أن استمع الى الارسال الذى أنبأه بأنه لا يوجد على الطريق الا سيارة واحدة على مسافة أكثر من حوالى ألف ياردة تقريبا ، وأن الطريق خال .

وأخيرا ، رأيت السيارة البونتياك الكبيرة تقترب وهى تتلمس

طريقها بأنوارها الكشافة في الطريق الجبلى الضيق . ورأيت الحزمة الضوئية تتخذ طريقها فوق رأس دالبى . وكان بوسعى أن أتخيله قابعا في مكانه لا يتحرك ، تاركا المقادير تجرى في أعنتها . وخفضت السيارة من سرعتها ، كما قدر لها دالبى هذا . وما ان اقتربت منه حتى نهض واقفا واستقام كتمثال رامى الجلة ، وقذف ما بيده . وكانت قنبلة في حجم قطعتى صابون انفجرت ، بينما استلقى دالبى على وجهه حتى تخطئه شظاياها . ولم تتوقف السيارة ، بالرغم من أننى كنت واثقا من أنها أصابت مستودع وقودها واطاراتها . ورأيت دالبى ينهض ويسرع للحاق بها . وكنا قد اعترضنا بسيارتنا القديمة التى انتقلنا بها من بيروت عرض الطريق . واعتقدت لأول وهلة أن سائق السيارة الهدف قد قتل ، لأنه لم يحاول أن يتفادى الاصطدام بسيارتنا السيمكا ، بل اصطدم بها زحفا الى حوالى الثمانية أقدام . وفي هذه اللحظة بالذات ، كان دالبى قد أصبح في محاذاة السيارة . وفتح بابها وسمعت صوت الطلقات النارية . وسمعت صوتا صادرا عن جهاز الاستقبال الذى معى يقول فى ذعر : « ماذا تفعل ، ماذا تفعل ؟ » وخيل الى ، لأول وهلة ، أن السؤال موجه لدالبى . ثم تبينت حقيقة الامر .

فقد كانت هناك سيارة أخرى على الطريق ـ ولعلها كانت تتبع السيارة الاولى ـ مطفأة الانوار ، أو ربما أقبلت من الطريق الآخر القادم من بعلبك أو حمص . وتأملت امتداد الطريق على ضوء اللهب المتصاعد وكأننا في وضح النهار . وكان بوسعى أن أتبين رجل اللاسلكى من السفارة ، وقد وقف يحملق فى اتجاهى مبهوتا . ولم أر من دالبى الا قدميه تتدليان من باب السيارة المفتوح ، ولاحظت أن سيمون كان يقف خلفه بدلا من أن يستدير حول السيارة لمعاونته ووددت في هذه اللحظة بالذات لو وكل غيرى بما عهد الى به تنفيذه. غيرى ممن يمكن مساءلته عما كان من اسراع هذه السيارة « الناش » بالالتفاف وانطلاقها بأقصي سرعتها ، وعن عدم ملاحظتى لها عند

اقترابها من قبل . اننى من تطوع ليقف موقف المراقبة حتى لا أقوم بما كان يقوم به دالبى ـ المستلقى الآن على وجهه فوق مستودع بنزين ساخن بين قوم لن يمدوا له يدا . وعندئذ فعلت ما كان يجب على أن أفعله ، وما اقتضاه الموقف منى .

وكان سيمون قد تحرك بسيارة دالبى الى الطـــريق الرئيسى فى اللحظة التى كنت أزحف فيها من مخبئى . وفي مؤخرة السيارة كان يجلس رجل الارسال ليحرس أسيرنا الوحيد ـ صاحب الصور التى كان يحتفظ بها فاتسو وأحملها معى ، الرجل الذى كنت قد شاهدته مستلقيا فاقد الوعى على مائدة الميسر . وكان دالبى قد نهض ليرى ما حل بالسيارة «الناش» ، بينما رحت بكل ما في وسعى أقاوم ما حل بى نتيجة للرائحة الكريهة المنبعثة من احتراق السيارتين . ووقفت أشاهد ألسنة اللهب المتصاعدة منهما .

وبدأ الظلام يخف حدة في أديم الســماء الشرقى ، ولاحت في الافق من بعيد أصابع الفجر الممتدة الى أطراف السماء تلمســها فى رفق وحنـــان ، لتوقظ الدنيا من ســكونها الذى ران عليهـــا فى الساعات الأخيرة من الليل . وبدأت أتبين أشباح القرى على جوانب الجبال ، التى وطأتها أقدام سانت بول ، والتى دنستها جريمتنا منذ قليل .

وأقبل دالبى قائلا : « لعل بعضكم قد كره الأمر كله » .

فأسرعت باجابته قائلا : « فى أوله فقط » .

وصعد دالبى الى المقعد الخلفى بجوار رافن ، وسمعته يقول، « انى لجد آسف يا سيدى » ، في حزم ورزنة صوت ناعمة ، وهو يخرج من جيبه حقنة صغيرة مما يستعمله رجل الأسعاف ، حقن بها الرجل الذى لم يحاول أن يقول أو يفعل شيئا . ورأيت الرجل جالسا كالمأخوذ من أثر الصدمة . وانطلقت الســيارة بنا ، مارة بحطام السيارات الثلاث . وعند شتورا ، تركنا طريق بيروت واتجهنا

شمالا الى بعلبك . وشعرت بدالبى يميل الى الأمام مادا يده بنظارة سرعان ما تعرفت عليها قبل أن يقـــول : « لقد وجدتهـــا بالســـيارة الناش » . ورحت أقلبها فى يدى . انهـا نظارته التى لا يمكن أن تكون لغيره . نظارة فاتسو .

وسمعت دالبى يقول : « انهما من مخابرات البحـــرية الأمريكية . والسيارة لسفارة الولايات المتحدة . ولعلهما كانا بسـبيل القيام بما قمنا به . كان يجب عليهم الاتصال بنا في أمر مثل هـذا » . ولاحظ اننى أتطلع بنظراتى الى رافن ، فاســتطرد قائلا : « لا عليـــك منه ، انه في غيبوبة » .

وتذكرت في هذه اللحظة رجل البحـرية الأمريكى الذى كان يقتفى أثرى في روما وفى بيروت .

— ٧ —

استيقظنا جميعا في ساعة متأخرة من الصباح ، في « الفيلا » الكبيرة التى قضـــينا بها ليلتنا على طريق بعلبك . وهناك ازددت معرفة بسيمون الذى علمت بأنه ضابط برتبة ليفتنانت كولونيل ، لم يسبق له أن اشترك في عملية مثل هذه . وكانت مهمته أن يسهر على هذا الرجل الذى كان محور الأحداث الليلة الماضية . وكانت الفيلا في حراسة رجلين أرمنيين لم يفاجآ بقدومنا ، مقامة في خير مكان يصلح لنا ، بين الأشجار التى تخفيها عن الأعين .

ورأيت الفرصة سانحة ، لأستفسر من دالبى عن بعض ما أريد. سألته عن جاى قائلا :

ـ ما هى حقيقة أمر جاى ـ وأين هو من كل هذه الأحداث ؟

ـ انه يديرالعمل ويدبر الأمر ـ أو قل على وجه التحـــديد :

انه يدفع لمن يعهد اليه بما يريد . انه يدير وحدة ابحاث هنـــاك فى أرجو . هل تعرف أين تقع ؟ »

ـ أجل .

ـ أين ؟

ـ ان مقاطعة آرجو تقع في شمال سويسرا ، حيث يلتقى نهر الآر بنهر الراين . فلنعد الى ماكنا نتحدث عنه ، عن وحدة الأبحاث، ما هى طبيعة عملها ؟

ـ ان بالوحدة مجموعة من علماء الاجتماع ومن أطباء الأمراض العقلية ومن علماء الاحصـــاء ، الذين تمولهم مختلف المؤســـسات الصناعية لتجرى أمر ما يسمونه « بالبيئة المركبة » .

ـ لقد اختلط الأمر على .

ـ ان هذا لا يدهشنى منك . فهم لا يعرفون ماذا يفعلون على وجه التحديد . غير أننى اســـتطيع أن أوضح وجهة نظرهم بقدر ما أحطت بها . ولنضرب مثلا بالصناعة في ألمانيا . فكلنا يعرف أن الصناعة في ألمانيا كانت دائما في حاجة الى الأيدى العاملة ، مما حدا بالقائمين على أمرها الى اســتيراد هذه الأيدى من كل بلد أوروبى تقريبا ـ وكانت النتائج موفقة . بمعنى ، أنك اذا أتيت بعامل غير مدرب من بلاد اليونان مثلا ، لم يسبق له أن مارس العمل الآلى ، وكلفته بالعمل في مصنع ألمانى ، فانه سرعان مايلم بنواحى عمله كغيره من العمال القادمين من دسلدورف . هل تتابع حديثى ؟

ـ بكل جوارحى . ولكننى لم أتبين بعد المشكلة .

ـ مهلا . فلم أبلغ من حديثى بعد موطن الداء . فاذا ما قام ألمانى غربى ببناء مصنع في اليونان واستخدم فيه عمالا منها ، فان هؤلاء لن يتعلموا شـيئا على الاطلاق . ومن هنا تتبين أثر البيئة بصورة واضحة . ومن ذلك أيضا يمكنك ان تدرك كنه نظرية البيئة المكونة . وهى نظرية لها أهميتها بالنسبة للصناعات التى تقام في بلاد زراعية .

ـ ويمكن أن تكون لها أهميتها بالنسبة لنا أيضا .
ـ لدينا ملف مستكمل عن هذا الموضوع .

وهذا كل ما تطـوع به دالى من معلومات عن جـاى . غير أن موضوع جاى لم يكن كل ما اردت أن أستفسر منه عنه . فخضت معه فى حديث عن المخابرات وعن بعض تقاريرها ، وعن غير ذلك مما كان يشغل بالى من شئونى الخاصة ، منتهزا فرصة جولتنا الصباحية فى جوار الفيلا ، وبين آثار الرومان القديمة وبقايا معابدهم .

وسألته عن مستر أديم مضيفنا ، فلم يبخل على بشيء عنه مما يرضي فضولى . لقد عرفه دالبى عن طريق روس ، الذى عرفـه هو الآخر عن طريق مكتب مقاومة المخدرات الأمريكى (فرع البحر الأبيض المتوسط) . وفى اعادة توزيع خدمة مخـابرات حلف الأطلنطى عام ١٩٥٢ ، أصبح فى خدمة بريطانيا . وهو فى حوالى منتصـف العقد السادس من عمره ، لطيف المعشر كريم الخصال ، خفيف الروح . كما أنه خير خبير بالجياد وبالخمر ، واسع المعرفة بالمنطقة الممتدة من تركيا شمالا الى بيت المقدس جنوبا . وهو رجل طموح يتجر فى كل شيء .

ووجدنا أديم فى انتظارنا بحديقة الفيلا . وجلسـنا الى مائدة حفلت بكل ما لذ وطاب من الاطعمة الشرقية ، فى قاعة طعام غلبت عليها روحه الشرقية وطابعه الريفى ، ووقف الرجل الكريم على خدمتنا ، غير مدخر وسعا فى العمل على راحتنا .

وجلست مع أديم فى حديقة الفيلا نتجاذب أطراف الحديث . وكانهو المتحدث فى الواقع وأنا المستمع . وأطال فى الحديث عن عمه الذى قتل أسدا بحربة وسمى من بعد « حامد قاتل الاسد » . وراح يفاضل بين قتل الوحوش بالحراب وبين قتلها بالنار .

واقتربت بنا ساعات الظهيرة من لحظات المساء ، عندما مالت الشمس فى الافق تمس بأشعتها الحمراء أشجار الليمون التى كانت تحجب عنا لقاء السماء بالارض . ورأينا أن نتناول عشاءنا علىالسماط

الممتد على حشائش الحديقة ، فى هذا الجو الشاعرى الذى ضاعفت من شاعريته ألحان موزار المنبعثة من راديو قريب .

وبعد ثلاثة أيام ، عاد الينا جون من بيروت ومعه جهاز لاسلكى كبير . وقد استغرق منه اعداده للعمل حوالى الثلاث ساعات ، تمكن بعدها من الاتصال باحدى المدمرات التى كانت تجوب المياه الاقليمية للبنان .

أما سيمون ، الدعى ، المسمى بينتر ، شأنه شأن غيره فى هذه العملية ، فقلما كان يترك غرفته بالطابق العلوى . وبعد أن تمالاتصال بالمدمرة ، لم يمانع بينتر فى أن يتناول الاسير معنا طعـامه . رافن ، الاسير الذى بدا أنحل عودا وأضعف بنية مما كان عليه منذ يومين ، عندما أخرجه دالبى من السيارة البونتياك في تلك الليلة المشهودة . وكانت ملابسه متسخة بعض الشيء ، يدور بعينيه فيما حوله بعصبية بادية القلق ، كما لاحظت أنه يكثر من النظـــر ناحية بينتر . وما ان بلغا من هبوطهما نهاية الدرج حتى توقف ضيفنا عن متابعة سيره .وبدا كأنه يدرك مايستبد بنا من فضول واهتمـام بدوره الذى يقوم به . وتوقفنا عما كنا فيه من حديث . وران علينا سكون مطبق ، اللهم الا من الكلمات المتدفقة من اذاعة « صوت العرب » .

وأقبل علينا محييا بتحية المساء . وقام دالبى اليه يأخذ بذراعه فى رفق الى مائدة العشاء . وسمعته يقول له : « شـــكرا على عطفك يا دالبى ، شكرا على ترفقك بى » .

ولم يكن حديث المائدة الا ســـطحيا حول الطقس أو الحديقة أو الخيل ، وعجل أديم بتناول عشائه ، ليسرع الى جهاز الاستقبال لالتقاط آخر الأنباء عن تحركات المدمرة على طول الشاطىء اللبنانى . ومن بعدها يذهب الى حيث كانت الطائرة الهيلوكوبتر ، ليطمئن على أن كل شيء بها على ما يرام .

وجلسوا تحت القبة الزجاجية للطائرة متأهبين للرحيل .. فاتخذ

سيمون بينتر مجلسه الى جانب رافن فى المؤخرة • وجلس دالبى فى المقعد الأمامى بعد أن تلقى من أديم بضع كلمات عن كيفية استعمال أجهزة الطائرة • وبعد لحظات اهتزت الطائرة لتملأ الوادى بصوت آلاتها تردد صداه جنبات الجبال ، فيزداد قوة وزمجرة • ورأيت زائرنا الذى تحملنا فى سبيله كل هذا العناء يرفع يده محييا • فقلت له بينى وبين نفسى : « وداعا أيهـــا الرجل المتعب ، وداعا يا رافن » • ثم اتجهت الطائرة نحو البحر . وعدت أدراجى الى المنزل •

— ٨ —

ان شهر أبريل فى لندن . من الشهور التى لا تستحب الحيـــاة فيها ، وبالذات فى يوم الثلاثاء الذى كان على ان أتوجه فيه الى شيفيلد لمقابلة بعض من أعمل معهم • وقد طال اجتماعنا الذى لم يتقرر فيه الا القليل عن تنسيق أنظمة تبادل السجلات والاتصال • وشغلت فى يوم الخميس بمراجعة بعض المعلومات الخاصـــة بعملية جاى • وبينما كنت منهمكا فى عملى هذا ، أقبل على دالبى محييا • ولم أكن قد رأيته منذ ليلة رحلته بالهليوكوبتر • واستفسر منى عن أحوالى ، فشكوت له من تأخير بعض مدفوعاتى ونفقات سفرى • فضحك قائلا :

ـ اذن فلتقبل دعوتى لتناول الغداء حتى تكف عن الشكوى •

وذهبنا الى مطعم ولتون . ونعمنا بوجبه شهية . ودار الحديث بيننا حول العمل ، لأن دالبى لا يريد أن يضيع وقتا • فاستفسر منى عن آخر معلوماتى عن جاى • فلما أحطته علما بخطواتى ، قال لى وهو يناولنى كأسا من الشمبانيا :

ـ يلوح لى أننا نسير نحو غاية واحدة وان اختلفت سبلنا •

ولم أنس هذا اليوم ، بطعامه الشهى ، وملاحظة دالبى التى كانت

تعنى الكثير • وقد لاحظت بعد قوله هذا ،، انه تعمد تغيير موضـــوع الحديث •

وفى حوالى الساعة الحادية عشرة من صباح يوم الجمعة التالى ، قدمت اليس الى غرفة مكتبى تحمل قدحا من النسكافيه ، ونظرة ماكرة ، وملفا أخضر جديدا ، ثم التقطت القلم الحبر الذى استعرته منها من اســبوع مضى ، وعادت من حيث أتت • وتركت ما كان بين يدى من أوراق ، وشرعت فى فحص الملف الجديد ، الذى كان مسطرا على الزاوية اليمنى منه بأحرف كبيرة ك/٦/١٤١٤٣ • وكان ما بالملف من أوراق ، يخص رجلنا جاى • واطلعت بالملف على تاريخ حياة جاى بالجامعة وعدم استكماله لدراسته بها • ثم تتابعت خطوات حياة جاى العـادية حتى يونيو سنة ١٩٤٢ ، حينما جند باسم كريستيان ستاكوفسكى ، بمخابرات الجيش البولندى ، المتخـذة لندن قاعدة لها • وقام برحلتين الى جنوب بولندا ، انقطع فى الثانية منهما الاتصال به • ثم عاد ليظهر ثانية من المجهول فى القاهرة ، واتصل بالجيش البولندى فى ديسمبر سنة ١٩٤٢، الذى بعث به الى لندن لتلقى دراسته التدريبية فى هورشام • وفى هذا الوقت كانت سلسلة الخلايا التى كان يعمل بها فى بولندا قد أبيدت ، وتبين من الأوراق احتمال اشتراكه مع الألمان فى بعض الأعمال • كمـا دلت بعض صور المستندات المؤرخ رسالة منها بتاريخ مايو سنة ١٩٤٣، على أنه كان له ضلع فى الاعتقالات التى تعرض لها العاملون معـه فى الخلايا • ولقـد كانت الخلايا السرية البولندية مختلفة الاتجـاهات السياسية ـ ولما كان جاى عضوا فى القوات المسلحة الوطنية (وهى جماعة يمينية متطرفة) ، فيرجح اشتراكه مع أبفهر الألمانى ، مما جعله يبدو بطلا فى نظر جيش التحرير المسيطر عليه الشيوعيون • وكل هذه نواح متعددة الجوانب له •

ثم تتصل الحلقات فى سبتمبر سنة ١٩٤٥ ، بعد انقطاعها ، ليعود ستاكوفسكى باسم الجاويش البولندى فوك الى بولندا بين الجنود المطلق سراحهم من معسكرات الألمان • ويحصل فى وارسو على وظيفة متواضعة

فى الحكومة الشيوعية الجديدة ، تتيح له الاتصال بهيئة المخـــابرات الخاصة بالجاسوسية الصناعية ، وبالذات ما يتصل منها بحركة اعادة ترميم الانتاج الألمانى لصالح روسيا • وبالملف مذكرة ترجح انه كان يعمل فى عام ١٩٤٧ لحساب وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، التى كان لها كثير من العملاء فى اوروبا فى تلك الفترة • وفى عام ١٩٥٠ ، يهرب فوك الى انجلترا ، حيث يندمج فى المجتمع البولندى اليمينى ، كما كان ضالعا مع الحكومة الشيوعية •

وبينما كنت ارتشف قهوتى ، تنقلت بين أوراق الملف حتى وجدتنى امام آخرها واكثرها اهمية • وهى مذكرة خاصة بأعمال الجاسوســـية التجارية عن كل ما يعقد من صفقات هامة • وقد ورد بهـــذه المذكرة ما يدل على أن فوك أو جاى لا يتسلم من الحكومة الروسية مبالغ من المال بصورة منتظمة • وان دخله كبير ، ولكنه متعدد المصادر مختلف المقادير • وعادت اليس فى الوقت المناسب ، وكانها قدرت ما يستغرقه اطلاعى على الملف من زمن ، لأننى كنت قد فرغت منه وطويته فعـلا • وبعد ان القت على محتوياته نظرة فاحصة عابرة حتى تطمئن الى انه لم ينقص منها شىء ، تابطت الملف متاهبة للانصراف • قلت لها وهى فى طريقها الى الباب :

ـ اليس ••

فتوقفت واستدارت لتواجهنى مستفسرة ، وقد رفعت حاجبيها وهى تسمعنى مستطردا :

ـ « ان تصرفاتك مكشوفة وسلوكك معيب ، وهى كاناقتك تماما ، ليست على ما يرام » •

ولكن هذا لم يحرك منها ساكنا ، بل انصرفت فى غير مبالاة •

- ٩ -

اتصل بى دالبى يدعونى للاجتماع به فى الساعة الثالثة ، بقاعة مجلس الادارة بالطابق الأول • وألفيت دالبى واقفا بجوار مدفأة كهربائية تحت صورة كبيرة يقرأ صحيفة الجارديان • وكان تشيكو جالسا الى المنضدة الكبيرة التى تتوسط القاعة • وبعد دقيقتين تقريبا أقبل بينتر ، الطبيب ، وتبادلنا التحية •

واتخذت لى مقعدا من المقاعد المنتثرة حول مائدة الاجتماع • وما أن اكتمل عقدنا ، حتى احتل دالبى مقعده وراح يتفرس فى وجوهنا واحدا بعد الآخر • وتلفت معه أتأمل الحاضرين • فهذا هو بينتر بسنواته الأربعين ووجهه النحيل يجلس الى يمينى • وكان يجلس فى مواجهتى ضابط بالجيش ـ بحسب ما كان ـ لأن هذا ما كان يدل عليه مظهره • وكان يجول بعينيه بين الحاضرين فى ترقب وحذر • وكان يضع يديه فى احكام على حافظـــة أوراقه فوق مائدة الاجتماع ، وكأنه يخشى أن يتسرب منها سر مما تحتويه • انه الكابتن كارسويل كما علمت فيما بعد • وهو قادم الينا من هـ ٣٨٠ ببعض البيانات الاحصائية الهامة ، كما قال دالبى •

وبدأ كارسويل يدلى بما لديه من معلومات • لقد كلفت مصلحته بعـــد حادث بورجيس وماكلين ، بعمل احصـــاء دقيق عن الأشخاص المفقودين وتحليل هذه الظاهرة تحليلا ترابطيا • واستأذن كارسويل فى البدء بعرض الأرقام ، ثم التعقيب عليها فيما بعد • وراح يلقى على مسامعنا الكثير من التفاصيل المثيرة عن بعض الحالات ، وبعض أوجـه التشابه بين بعضها البعض ، فى اتقان الحاذق لعمله ، المدرك لما يقول ، الملم بكل التفاصيل •

وبين لنا كيف كان اختطاف رافن حلقـة من سلســلة اختطاف الشخصيات الحيوية الهامة لأمن البلاد • وكيف دبر جاى أمر اختطافه

وكيف ساوم ليعيده • وقرر بان هذا الحادث كان آخر حوادث الاختطاف• ثم حكى لنا عن بعض الاجتماعات المشبوهة التى تعقـــد فى لندن وفى بريطانيا، مما لم يستطع أحد منا أن يحيط به احاطة مستكملة النواحى•

كان من رأى دالبى أن يعمل كارسويل معى • فاعددت له غرفة خاصة تسعه هو والجاويش الذى يعمـل معه ـ موراى ، واصـــطحبته معى الى الترزى ليعد له ولمساعدته ما يلزم لهما من ملابس مدنية • وكانا يعملان بنشاط من الساعة التاسعة صباحا الى السادسة مساء ، ثم يعودان الى منزليهما فى فولهام وبروملى • وكنت آمر بمكتبهما من آن لآخر ، لأرى الى أى حد انتهت بهما ابحاثهما ، ومدى توفيقهما فى الامساك بطرف الخيط الذى يرشدنا الى السر فى هذه اللقاءات المريبة لبعض المرموقين فى بريطانيا • وقد لاحظت أنهما يسيران فى تحرياتهما على هدى بعض العوامل المشتركة التى لها دلالتهـــا ـ كحيازة المعنيين لسيارتين ، او قضاء عطلات طويلة ، او القيام بزيارات لأمريكا ، او لشمال افريقيا ، الى آخر ما هو من هذا القبيل مما يتصل بامكانيات الفرد وحقيقة دخله • كما لاحظت أن كارسويل يتحرى الدقة فى جمع كل ما يتصل بهؤلاء القوم من النواحى السياسية والاجتماعية ، وحتى الصحية منها • وكنت أدون من الملاحظات ما يعنينى آمره واضعه أمامى على مكتبى • وبينما كنت جالسا الى مكتبى أتأمل هـــذه البيانات اقبـل دالبى يحمل تقريرا مقدما منى يضعه أمام عينى قائلا :

ـ استمع الى •• اننى لا أستطيع أن ارفع هذا التقرير او ادعه يمر •

وما أن ألقيت نظرة على التقرير حتى أدركت أنه خاص بما تكلفته ثياب وحاجيات كارسويل وموراى • وان ثورة دالبى ترجع الى ما لاحظه

من اسراف فى تلك المشتريات • واستطرد من ذلك الى مناقشة نفقاتى الخاصة فى المطاعم وفى غيرها من اماكن الترفيه واللهو • وهـذا هو شانه دائما فى كل ما يتصل بالمصروفات الحكومية • وطال الجـدل بيننا ، واستشاط دالبى غضبا عندما عارضت وجهة نظره • ولمـا وجدنى مصرا على رايى ، معارضا له فيما يمس من يعملون معى قبل ان اهتم بالدفاع عن نفسى ، بدأ يتهيأ للانسحاب حسب الخطة الموضوعة ، على حد تعبيرات الجيش ، وانتقل الى الحديث فى صميم العمل ، بلهجـة زالت عنها كل حدة وبنبرات هادئة • وتبسط معى فى الحديث ، حتى انه قال لى انه سيعهد الى بتولى امر الادارة كلها • ولما لاحظ اننى دهشت لتصريحه بهذا قال :

ـ لن يكون هذا لاكثر من ثلاثة اشهر • ومع ما ينقصك من تعليم كلاسيكى ، الا اننى واثق من استطاعتك التغلب على هذا النقص •

وكان جادا فى قوله ، لأنه عكف بعد هذه المقدمة الى احاطتى علما بكل صغيرة وكبيرة مما يتصل بعملنا ، واشتركت معه اليس فى ذلك•• وعلمت منه أنه مسافر فى اليوم التالى ، ولكنه لم يصارحنى بشىء عن طبيعة مهمته • ورأيت أن احصل منه على معلومات اكثر عن جاى ، فقال لى :

ـ ستجد كل شىء عنه فى الملفات • راجعها واطلع على ما فيها من وثائق ومستندات تنل بغيتك •

ـ كنت افضل أن أسمع منك رايك فيها •

وفى الحق ، اننى كنت اريد أن اوفر على نفسى عناء مراجعة هـذه الملفات • ولم يجد دالبى بدا من ان يعطينى فكرة عامة قائلا :

ـ عندما استقر جاى فى لندن سنة ١٩٥٠ ، كان يعمل جاســوسا لحساب الامريكيين • ولم يكن يعنينا من امره شىء ، لان نشــاطه كان قاصرا على النواحى الاقتصادية والصناعية • وكان قد اتخذ له مكتبا فى شارع برايد • ولم يلفت انظارنا اليه ، الا فى اعقاب حادث بيرجس

وماكلين • وكنا قد تلقينا مذكرة تدعونا الى مساءلته عن هذا الموضوع • وفى الواقع اننا لم يكن لدينا اية فكرة عن اقحامه فيه من قبل •

ـ وما هو مصدر تلك المذكرة ؟

ـ لم تكن المذكرة محررة او مسجلة • وتصادف اننى لم اكن متوليا الأمر حينئذ • فاذا ما اهتديت لهذا المصدر ، نبئنى بذلك فورا• ان هذا الموضوع يعد فى مقدمة المسائل المستغلقة على ، والتى لم اتمكن بعد من اماطة اللثام عن كنهها • ومع ذلك ، فيجب أن تعلم بأن له اصدقاء فى المستويات العليا •

والمستويات العليا هذه لا تعنى عند دالبى الا شيئا واحدا • فقلت :

ـ فى الحكومة ؟

ـ فى مجلس الوزراء • وحذار أن تردد شيئا من هذا القبيل • اذ ليس لدينا أى دليل على ذلك • كما أنه لا يوجد بين أيدينا ما يدل على أن له علاقة باية عمليات غير مشروعة منذ عام ١٩٥٠ • لقد قمنا بتحرى أمر تحركات جاى ابان حادث بيرجس وماكلين • وليس من شك فى أن تحركاته كانت موضع شك وريبة • فعندما كان ماكلين بالسفارة البريطانية بالقاهرة ، زار جاى القاهرة مرتين • وبتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٥١ ، شوهد ماكلين مع بيرجس فى سيارة اتجهت بهما الى سوثهامبتون• وأقلعت بهما الباخرة الى سانت مالو • وثبت أن جاى كان معهما فى هذه الرحلة • ثم كان أن عاد جاى دونهما • وبعد ذلك بفترة ليست بالقصيرة• ورد من أحد البنوك السويسرية أمر بدفع مبلغ ألف جنيه لكل من أسرتى الرجلين باسم والدة زوجة ماكلين • وبعد قليل ورد أمر دفع بمبلغ ٢٥ر٠٠٠ جنيها محولة من البنك السويسرى الى بنك س • هيلينك فى لندن باسم مستر أرسطو • وأرسطو هذا هو جاى • وليس ثمة غبار فى أن يتلقى رجل يعمل بالتصدير والاستيراد مبلغا مثل هذا ، ومهما يكن من أمر ، فما اظن الا ان نشاط جاى الخفى يعد سلعة رابحة مرتفعة القيمة •

ـ وبعد ؟

ـ وبعد ؟ ان هذا هو عين ما نحن بسبيل تقصى آثاره فى هـــذه المرحلة الحالية ٠

ـ وهل كان رافن الذى قمنا باختطافه فى بعلبك ، حلقة من سلسلة هذا النشاط ؟

ـ لقد كان عالما من علماء الكيمياء الحيوية بمركز الأبحاث الحربية فى بورتون ٠ وجدير بك أن تعلم بأن قسم الصحافة بادارة الأمن العام يحظر نشر أية أسماء بالصحف ٠ ولن يتكرر ما حدث حول اختفاء بيرجس وماكلين فى الصحف أو فى مجلس العموم ٠

ـ وهل تعتقد أن فيما يقوم به كارسويل علاقة بنشاط جاى ؟

ـ كلا ٠ فانه وان كان جاى يجنى الكثير من مثل هذه العمليات ، الا انه أكثر فطنة من أن يسرف فيها ٠ وأعتقد أنه يقوم باختطاف أحد كبار العلماء من آن لآخر عندما يريد ان يحقق لنفسه صفقة جـــزيلة العطاء ، مما لا يجعل لعملياته النطاق الواسع الذى يجرى عليه كارسويل أبحاثه ٠ دع كارسول جانبا الآن ، حتى يضع يده على شىء ثابت معين يكون جديرا بأن تضعه موضع الاعتبار ٠

ونهض منصرفا ٠ وســـمعت وقع أقدامه على الدرج الخلفى ، مع صوته الآمر لتشيكو أن يعد الفيلم الى يريد أن يشاهد عرضه قبل رحيله ٠ وجمعت حاجياتى الخاصة ، وانتقلت الى غرفة مكتب دالبى ٠

ووجدت بالغرفة كثيرا من الصحف اليومية وبعض صور الضباط المثبتة الى الجدار فى اطاراتها ٠ وأســفل النافذة وجدت جهـاز التسجيل الخاص الذى يعتز به دالبى . لقد كان دالبى شابا طموحا مقداما يفيض حيوية ونشاطا ، ومن خير من صادفتهم فى حياتى من رؤساء . ولم يكن الرجل ممن يدعون لأنفسهم الفضل فى كل شىء ، بل كان يرحب بالفكرة الجديدة ويناضل فى سبيلها بعد ان يقتنع بها ، ثم ينسبها الى صاحبها مشيدا بفضله . وكان هذا الجهاز هو مفتـاح ما تتمتع به منظمتنا من شهرة ، لأنه كان ييسر لنا سبيل الحصول على سلسلة من المعلومات التى لا تتهيأ لغيرنا . كما كان الجهاز يعد

لنا من هذه المعلومات ما ينسقه آليا بكفاية أعلى مما يستطيعه العقـــل البشرى • وكان دالبى يعتز بهذا الجهاز الذى جعل منه شخصـــية لها قدرها فى انجلترا •

وكنت بمكتبى فى تمام الســاعة العاشرة والنصف من صـــــباح يوم الأحد . ولم يكن من عادتى أن أتوجه الى مكتبىفى أيام الآحاد ، ولكننى كنت اريد أن أقوم بمراجعة بعض المعلومات الهامة • ووجـــدت صحف الأحد فى مكانها المعهود ملقاة فوق صحف السبت . كما وجدت جهاز التسجيل وقد رفع غطاءه . وجلست الى مكتب دالبى الفخم، أتأمل المفاتيح الكهربائية المتعددة الألوان المختلفة الاتصالات .

ورفعت عينى عنها ، لأجد أليس واقفة بالباب تحمل قدحين من القهوة الساخنة . وتقبلت منها قدحى شاكرا ، مستفسرا عن سبب حضورها الى المكتب فى يوم أحد • فابتسمت قائلة :

ـ اننى اســـتطيع أن أنتج ضعف ما أنتجه فى غـــير أيام الآحاد الهادئة .

وبعد أن أُصلحت من شأن الغرفة ، وأعادت كل شىء الى مكانه ، اتجهت الى ناحيتى سائلة :

ـ أوتزمع تشغيل جهاز التنسيق الآن ؟

ـ الى حد ما . ثمة نواحى لا أفهمها منه . كتجميع الصور مثلا •

وسلمتها حزمة منها . فتناولتها مبتسمة وهى تقول :

ـ سأحاول تشغيل جهاز الانتقاء والفرز •

ودأب كارسويل على مواصلة أبحاثه ، وعكف على تتبـــع حـــوادث السطو والسرقة وتقصى طبيعة اتصالها بأعمال الجاسوسية ، ومحـــاولة الربط بينها . والحق أقول ، أننى لم أستطع من زياراتى لكارسويل أثناء عمله ، أن أفهم شيئا مما يجريه من احصاءات أو يخطط له من بيانات . ودعوته فى يوم الثلاثاء ، لتناول مشروب بمكتبى . ولاحظت أنه مبتئس الى حد ما . وبعد أن احتسى ثلاثة أقداح من الجعة على

التوالى ، بدا يروى لى الكثير عن فترة طفولته بالهند ، ويحكى لى قصة شبابه كضابط أرستقراطى فى الجيش بتوجيه من والده . وما أن توفى والده ، حتى تقدم بطلب الانضمام الى مكتب الاحصاء التابع لجيش الهند فى كلكتا • ولم يكن طلبه هذا عن رغبة او ميل لهذا الطراز من العمل ، بل كان بدافع من مجرد الرغبـــة فى تغيـــير أسلوب حياته الماضية من قبيل التمرد على نمطها .

وبعد عامين قضاهما فى عمله هـذا ، بدأ يتذوقه ويدرك مـدى ماللاحصاء وجمع البيانات من أهمية لأسلوب العمل كله .

وبعد أن تطرق بنا الحديث وتشعب فى نواحى العمل ، رأينا أن نكتفى بهذا القدر ونعود الى منازلنا • ووقفت بالنافذة أتامل المـــارة فى معاطفهم المبتلة من مياه الأمطار المتساقطة . وما أن استدرت متهيأ للانصراف ، حتى دق جرس التليفون الأحمر ـ تليفون الطوارىء ـ ورفعت السماعة لأتلقى المكالمة التالية :

ـ ألو ، هنـــا مكتب التسجيل الجنائى باسكتلنديارد • ضـــابط الاتصال العسكرى الكابتن كيتل ، على الخط •

ـ نعم يا كيتل ؟

وأدركت لتـــوى ان ما كنت امنى نفسى به من امســـية هادئة بجوار المدفأة مع كتابى التاريخى المفضل ، قد ذهب وولى .

ـ ١١ ـ

ـ لقد تلقينا مكالمة من مركـز شرطة شوردتش ، لهـــا غرابتها • انهم يحتجزون شخصا ما ، اثر حادث من حوادث الطريق • اعتقد ان سيارته قد خالفت قواعد المرور •

ـ أجل ، وبعد ؟

ـ وساله الكونستابل عن رخصة قيادته وغير ذلك ...

ـ كيتلى ، ارجوك ان تدخل فى الموضوع .

ـ حسنا يا سيدى . ليس لدينا عن جونى السيارة هذا اية معلومات . اعنى انه ليس له بطاقة بيضاء ، ولكن له اخرى خضراء ، شانه فى ذلك شأن من هم موضع الشبهات ، دون ان يكون لهم سجل اجرامى .

ـ اعرف هذا . ولكن خبرنى كيف عرفت ان له بطاقة خضراء ؟ هل صارحكم باسمه ؟

ـ كلا يا سيدى . اليك ما كان تفصيلا . ان جونى هذا ، يرتدى حلة كبير مفتشى الشرطة بالعاصمة . ولحسن الحظ ، فقد سبق للكونستابل العمل بمكتب التسجيل الجنائى لمدة عام ، فتعرف عليه وتبين انه مدع زائف .

ومن هنا كان اهتداؤنا الى بطاقته الخضراء المظهرة بمعرفتكم على انها من البطاقات التى لها اهميتها واسبقيتها . وهكذا اتصلت بك تليفونيا ، للاستفسار عما اذا كنا نحيط شرطة شورديتش علما بأن له بطاقة خضراء ؟ وهل تريدون أن نحتجزه لحسابكم ؟

ـ استمع الى ياكيتلى . بلغ شرطة شورديتش باحتجاز هذا الرجل . وفى الواقع اننى اريد ان يقوموا بتفتيشه بكل دقة ، وتجريده من كل ما معه . وعليهم ان يبحثوا حذرين عن حبوب السيانيد ، التى يحتمل ان توجد معه . وقل لرئيس الشرطة هناك أنه مسئول شخصيا عن سلامة هذا الرجل ، وأنه يجب أن يودعه سجن المركز بمجرد ان تنتهى من مكالمتك معهم ، والا يغفل عن مراقبته . وعلى رؤساء هذا الكونستابل أن يتخذوا اللازم لترقيته فورا . انه جدير بهذه الترقية لجراته ـ ان اعتقال مفتش شرطة ليس بالعمل العادى . وقل لهم اننى قادم اليهم فورا ، وسأكون بمركز الشرطة قبل السابعة والنصف .

ـ سأعمل على تنفيذ أوامركم فورا .

ـ شكرا . ولقد أحسنت باتصالك بى مهما تكن النتائج .

ـ شكرا لك يا سيدى .

واعدت السماعة الى حاملها ، ثم اغلقت جهاز التنسيق ، وقمت بضغط المفتاح الأبيض الذى يحول المحادثات التليفونية الخارجية الى جهاز التسجيل . ودعوت موراى لمرافقتى ، وغادرنا الادارة الى شارع توتنهام كورت حيث وجدنا السيارة فى انتظارنا . وانطلقت بنا السيارة مسرعة الى مركز شرطة شورديتش •

وعادت الأمطار لتهطل غزيرة ، ولمعت الطرقات بمياهها تعكس اضواء مصابيحها • وما أن توقفت السيارة بنا ، حتى قفزنا منها وتبعنا السائق الى داخل مركز الشرطة • واستقبلنا السرجنت الذى تلقى من كيتلى ما أصدرته من أوامر قائلا :

ـ كل شىء على ما يرام ياسيدى . فما أن تلقينا أوامرك حتى قمنا بتنفيذها فورا . ان رجليك الآخرين ما كادا أن يودعا سيارتهما •• لقد كانا فى غنى عن هذا العناء ••

ـ رجلاى الآخران ؟

وشعرت وكأن يدا تعتصر قلبى عصرا وادركت لتوى إنه ما كان لى أنا أيضا أن أكلف نفسى عناء المجىء . وعندما أقبلنا عليه وجدناه مستلقيا جثة هامدة لا حراك بها .وكان رجلا قوى البنية ، وسيما ، فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره • وكان يبدو اكثر سنا عما كان عندما رايته من قبل • انه هاوس مارتن الذى لم يعد له مكان بين سجلاتنا ، والذى يسقطه الآن اتباع جاى من عداد رجالهم ، فى تمام الساعة ٧ و ٣٣ دقيقة من مساء هذا اليوم • وامرت باستدعاء الكونستابل الذى القى القبض عليه ، فاقبل واستفسرت منه عن كل ما حدث •

وعاد الى الكونستابل فيناى ، بتقرير مفصل عما جرى . وكان السرجنت الواقف مستندا الى باب السجن لا يفتأ مرددا ، « أو بعد خدمة تبلغ الخمسة وثلاثين عاما ... » وكانت نبرات صوته مرتفعة تختلج بما يعتمل فى نفسه من قلق على مآله ومستقبل معاشه ••

والتفت الى الكونستابل أستزيده ايضاحا . وعلمت منه بأنه كان يشك فى أمر هاوس مارتن لأول وهلة ، ولكنه لم يكن ليستطيع

التثبت من ذلك ، لو لم يكن قد خالف قواعد المرور واصطدم بحامل الاشارة الضوئية . وأنه يشك فى أن الرجل كان قادما من أحد المنازل المجاورة .

وطمأنته على ما قد تسفر عنه ظنونه من نتائج ، وبعثت الثقة فى نفسه ليصارحنى بكل ما يجـول فى خاطره . وقلت له أنه ليس مطالبا باثبات كل ما يدلى به فى هذا الشأن . قلت له :

ـ لنفترض الآن أن هـــذا الرجـل كان قادما من أحد المنازل فى هذا الشارع . فلتستعرض الآن هذه المنازل . هل بوســـعك أن تذكر كل شىء عنها ؟

ـ أجل ، يا سيدى . فلكل منزل من هذه المنازل ما يميزه . والقليل منها لا يزيح ستائره عن نوافذ حجراته الأمامية الكائنة فى واجهة هذه البيوت .

ـ ان ما يعنينى من أمر هذه المنازل ، هو ذاك المنزل الذى حل به مستأجرون جدد فى الستة أشهر الاخيرة . منزل يتردد الناس عليه ولا ينقطع زواره عنه . أناس من الخارج وليسوا من أهـــل الجيرة . هل يوجد من بين هـــذه المنازل منزل يمكن أن يدخل الناس اليه من باب « جاراجه » مثلا ؟

ـ يوجد منزل منعزل عن غيره من المنازل ، لأن المالك اشترى الموقعين المجاورين له من كل جانب . وبديهى أن يكون المنزلان الكائنان فى الجهتين محصورين من جانب واحد فقط . وهما رقم ٤٠ الذى تملكه مسز جرانت ، ورقم ٤٤ الذى يملكه مستر ادواردز . أما المنزل المحصور بينهما فلست أذكر شيئا عن شاغليه ، ولا عن لافتة «للايجار» قد ثبتت اليه .

اذن فسأبتاع هذا المنزل الكبير بكل ما حوله .

واتصل كيتلى تليفونيا بمركز الشرطة ، وما أن علم بما حدث حتى أقام الدنيا وأقعدها . وسمع موراى صوت كيتلى يرتفع قائلا فى حـدة ، « أو قتل فى مركز الشرطة بالذات ؟ أو بلغ الامر هـــذا

الحد ؟ » وكان يكفى أن يوجه اليهم ضابط اسكتلنديارد هذه الملاحظات التى ارتفع بها صوته ليقض مضاجعهم .

وأمرتهم باتخاذ كل ما يلزم لرفع ما قد عساهم أن يعثروا عليه من بصمات أصابع للرجلين المشار اليهما ، مع موافاتى بأوصافهما التى يمكن بها التعرف عليهما ـ وان كنت واثقا من أنهم لن يوفقوا الى شىء من هذا القبيل ، لأننى كنت أعرف كيف يعمل جاى ومدى ما يتخذه من احتياطات فى كل خطواته . ولم يكن تعرف الكونستابل على هاوس مارتن بحكم سابقة عمله بمكتب السجل الجنائى الا مجرد مصادفة لعب فيها حسن الحظ دورا كبيرا . وسألت الكونستابل فينى ، الذى كان يقف فى انتظار أوامرى ، أن يرشدنى الى الموقع على الخريطة . وبعد أن قام بذلك ، سألته أن يرشدنى الى حيث يمكننى أن أتصل تليفونيا بجهة ما دون أن يزعجنى أحد .

وسرعان ما كانت غرفة الاستعلامات باسكتلنديارد على طرف الخط الآخر . « هنا مركز شرطة شورديتش . أريد الاتصال بالمسئول عن قسم ٣ هـ أمين عام . المتحدث من جهاز الامن السرى . » وبعد قليل تم الاتصال بينى وبين كبير المفتشين بانبورى ، الذى كانت لى به سابقة معرفة ، فأغنانى عن تلك المقدمات المعروفة ، ودخلت فى الموضوع قائلا أننى أريد أن يبعث الى بثلاثين ضابطا ، على أن يكون خمسة منهم على الاقل مسلحين ، وعلى أن يستقل هؤلاء أربع سيارات عادية ، وأن تزود احدى هذه السيارات بجهاز لاسلكى وسلم بخطاف. ثم أردفت قائلا :

ـ واصدر أمرك الى مكتب الصحافة بأننى لا أريد نشر اى شىء عن هذا الموضوع . وكذلك الحال بالنسبة للاذاعة . هذا كل ما فى الامر. وعليك بالاتصال بى بمجرد قيام الحملة ـ فلنقل فى مدى نصف ساعة .

ـ كلا ، ليس أقل من ساعة .

ـ نصف ساعة كما قلت . انها عملية من عمليات الأمن التى

لها طابعها الخاص . اذا لم تستطع أن توافينى بما طلبت فورا ، فما عليك الا ان تصارحنى بذلك حتى اتدبر أمرى .

ـ اذن فسأحاول أن يتم هذا فى مدى اربعين دقيقة .

ـ شكرا . الى اللقاء . وكانت الساعة السابعة وثمان وخمسون دقيقة مساء .

وارتقيت الدرج الى الطابق الاعلى . ووجدت موارى متكئا على منضدة ، والى جواره الكونستابل والرقيب واحد المفتشين . واستفسرت من الرقيب عمن عساه يكون المفتش . وبعد أن عرفت منه حقيقة شخصيته ، لأن المرء لا يلدغ من جحر مرتين ، قمنا باعداد العدة لما نحن مقبلون عليه ، واتفقنا على كيفية توزيع القوات ، واخبرتهم بأنهم يمكن أن يشتركوا معى ، بشرط أن تظل العملية سرا مغلقا على الجميع ، وأنهم سيتعرضون لأقصى عقوبة نص عليها قانون اذاعة الاسرار الرسمية ، اذا ما تسرب شىء من تفاصيل هذه العملية .

وفى تمام الساعة الثامنة وواحد وعشرين دقيقة ، دق الباب ، وأقبل شرطى ليعلن قدوم احدى سيارات البوليس الحربى ، قائلا ان السائق يسأل عن مستر موراى . وقال موراى أنه رأى أنه يحسن بنا أن نستعين بسيارة من سيارات الميدان المزودة باللاسلكى . وذهبنا ـ انا وموراى ـ لنتأكد من امكان الاتصال لاسلكيا باسكتلنديارد .

ـ ١٢ ـ

يمتد شارع اكاشيا العريض الرطب في أحد تلك الأحياء التى تقع على مشارف لندن . ولم تكن مبانيه لتعلو كثيرا عن أطراف الأشجار المغروسة على جانبيه . ولم تكن لترى من نوافذ منازله الا الضوء الخافت يتسلل من بين ستائرها القذرة ، لينضم الى اضواء الشارع التى تشارك مصابيح المنازل خفوتا .

وانتظرنا حتى اتخذ كل من معنا من الرجـال مكانه المعين له وأبصرت بباب يفتح ، وينفذ منه ضوء خافت يكشف عن رجل راح يرفع الأغطية عن السيارات الواقفة ليتبين سيارته التي يجب ان يستقلها من لوحتها النحاسية . وأخيرا اهتدى الى بغيته وانطلق بهـا فى الشارع الذى عاد الى سكونه واظلامه ثانية بعد مغادرة السـيارة له .

وكان للمنزل رقم ٤٢ بابان كبيران يصـل بينهما ممر نصف دائرى من الحصي الدقيقة . وشاهدت بأحد نوافذ الطابق الأعلى ضوءا خافتا يشع منها . وكانت سيارة الميدان المزودة باللاسـلكى فى وضع اقـرب من غيرها من سيارات الشرطة الأخرى التى جئنا بهـا ، وقد جلس بها الشرطى الحربى ليلتقط ما يبلغه به رجال الشرطة المختبئون بالحديقة . وبعـد ان اعطانا الاشارة المتفق عليهـا بيننا ، رأينا أنا وموراى أن ننفذ عنوة من احدى النوافذ الجانبية . وعلى رجل الشرطة العسكرية أن يقوم بوصف ما نبلغه به من اشـارات ضوئية .

واقتربنا من المنزل حذر أن يسمع وقع أقدامنا على الحصي . وساعدنا على ذلك تحليق طائرة فى هذا الوقت بالذات غطت ما عسـاه ان يكشف عنه وقع أقدامنا . وكنا نمشى على حذر بجـوار الجـدران متجنبين مساقط الضوء . وتأملت ساعتى الضوئية ، فوجدتها الساعة ١١ر٩ مساء . وشعرت بحركة أحد رجال الشرطة في الناحية الأخرى من موقعنا . وكانت الأمطار قد كفت عن التساقط ، وسكنت الرياح، وران على المكان صمت مطبق وسكون مخيم . ثم قطع حبل هـذا السكون صوت قطار يدوى عن بعد . وشـعرت بيد موراى تلمس ذراعى كاشارة للبدء بالعمل . وعالجنـا النافذة بما لدينا من معـدات حتى استجابت لنا وقفز من خلالها موراى الى الداخل . وبعد أن استعاد توازنه تناول منى غدارة الجيش وتبعته الى الداخل .

واستطعت أن أتبين على شعاع القمر النافذ الى ظلمـة المـكان ،

انا فى غـــرفة صـــغيرة صفت بها المقاعد والأرائك القـــديمة المريحة ، ورأيت على احدى الأرائك بعض الثيـــاب المتناثرة • وتقـــدمنى مورای الى الردهة • ووجدنا بعض الأوراق مبعثرة أســفل الدرج • واستنتجت من ذلك أن المنزل خال • ومع ذلك فقد واصلنا تفتيشنا حتى الساعة ٩ر٢٨ •

وقررنا العودة من حيث أتينا ، بعد أن تركنا شرطيين لحراسة المنزل . وأخبرنا رجال القوة بأن حفلة الميسر التى كان مزمعا اقامتها قد ألغيت فى آخـــر لحظة • وذلك حتى لا يتســـاءل أفراد القـوة عن طبيعة هذه الحملة التى لم تتم . واصـطحبت مورای الى حيث تناولنا قدحا من القهوة .

تحدثت الى مورای في كل موضوع ماعدا العمل . وكان مورای من هؤلاء الرجال الأكفاء المطيعين للأوامر الذين يمكن أن يعتمد عليهم رؤساؤهم • وجلسنا نتبادل الحـــديث فى شتى الموضـــوعات الحـربية وفي قوانين حمل السلاح ، وكان موارى يحاول أن يجارينى ، ولكنـه لم يحاول أن يخفى اعجابه بواسع اطلاعى ووفرة معلوماتى .

ولما قفلنا راجعين الى المنزل رقم ٤٢ ، كان رجـــال تحقيق الشخصية قد فرغوا من رفع بصمات الأصابع وتصـــوير ما كانوا بحاجة الى تصويره • ووجدنا أن « تشيكو » و « روس » قد وصلا الى المنزل . وكان روس ينفث على منصبى الجديد ، ولعله قدم للظهور على مسرح الحادث عن طريق كيتلى • وكان كل من تشيكو وروس ينقبان فى الحديقة عنـد عودتنا الى المنزل • وبعـد أن التقينا ، اتجهنـــا الى المنزل •

ولم نجد بالمنزل أو بأثاثه شيئا غير عادى ، على الأقل فيما

يتعلق بالطابقين الأرضي والأول ، اللهم الا من هذه الغرفة المعدة بالطابق الأرضي لتكون مكتبا ، وفى ركن منها كشك تليفون خشبى بدلف زجاجية . كما وجدنا بالغرفة بعض الكتب والمؤلفات ، اكثرها من مجلدات القواميس والخرائط وأدلة الطرق والسكك الحديدية وما شابهها . ولم نجد بصوان الملفات الا حوالى المائتى بطاقة بيضاء. ودخلت الى البهو ومنه الى الدرج أرتقيه الى الطوابق العليا . وتركت موراى وتشيكو بالطابق الأرضي يواصلان بحثهما وتنقيبهما . وتبين لى من تجوالى بالطوابق العليا أن شاغلى هذا المنزل قد حرصوا على اخفائه عن الأعين ، وجعلوا منه مبنى أقرب ما يكون شبها بقفص سدت منافذه لا يستبين الرائى ما بداخله . كما عثرت على حجرة أقرب ما تكون بنوافذها وتجهيزها الى غرف السجون ، التى لا تتيح لشاغلها أن يرى أكثر من صفحة السماء في أى اتجاه . وخرجت من هذه الحجرة الى دهليز انتهى بى الى باب خشبى ضخم يؤدى الى غرفة كانت فريدة في بابها .

فلقد كانت من تلك الغرف الفسيحة ـ حوالى ٢٠×٢٥ قدما وكان في منتصف الغرفة صهريج معدنى ضخم ـ حوالى ٨×٨ قدما وه ارتفاعا ، وبه من المياه حوالى الأربعة أقدام . وسمعت صوت تشيكو الذى كان قد لحق بى من ورائى يقول : « تلك ظاهرة جديرة بالنظر » . وأقبل على الصهريج بدور بعصاه في مياهه . واستغرق اخراج مابالصهريج من أشرطة تسجيل ومعدات ، ما يقرب من الساعة .

ولما هبطت الدرج الى الطابق الأرضي ، وجدت مصورى السينما الخاصة بالادارة ، واثنين من رجال معمل تحليل اسكتلنديارد، يقومون بعملهم ، فآثرت أن أترك لهم الموقع لبضع ساعات يفرغون خلالها من عملهم .

وكنت في منزلى مع خيوط الفجر الأولى ، وصوت الطيور التى

صحت على صبح رطيب . وبعد أن أعددت قدحا ساخنا من القهوة واللبن ، آويت الى فراشى متعبا يثقل النوم جفونى .

واستيقظت من نومى بعد أن تقدم بى الصباح ، ونهضت لأغتسل ولمازلت مجهدا لم أستوف حقى من النوم . وأسرعت بارتداء ثيابى ، وغادرت منزلى على عجل في سيارتنا الخاصة التى وجدت بها نسخة من الصحف الصباحية ، التى تصفحتها في السيارة ، وراجعت الاعلان الدورى الذى اتفقنا على نشره مع دالبى بالاصطلاحات الرمزية بيننا في باب المسرح من الصحف اليومية ، لنحيطه علما بما يجرى في غيابه . وقد تركنا لأليس هذه المهمة التى كانت تجيد القيام بها مع ما تجيده من مهام أخرى .

وتوقفت بى السيارة عند اسكتلنديارد . وكانت غرفة رئيسها المسئول فسيحة التنسيق . وبعد أن تبادلنا التحية ، دعانى للجلوس وقدم الى سيجارة تلو الأخرى ، لأنى تركته يسترسل فيما كان يشكو منه ويتذمر دون ان أقاطعه . انه يشكو من قلة موارد الادارة المالية ، بينما تغدق الحكومة على منظمتنا من الاموال ما ليس له حد ، مما يعرقل أحيانا جهود اسكتلنديارد ونشاطها .

وبعد أن فرغ من شكواه ، وهدأ نفسا اذ نفث عما يجيش به صدره ، وجدت الفرصة سانحة لنطرق فى حديثنا أبواب ما قدمت من أجله ، وطال بنا الحديث في العمل ، وفيما كان من تصرفات بعض من يعملون معى ومعه .

كان يوم الثلاثاء يوما من أيام الصيف المشهودة . صحوت فيه من نومى على نباح كلب الجيران . وتصفحت بريدى الخاص : فهذا خطاب من قسم الاشتراكات بمجلة تايم يدعونى للاسراع بارسال

قيمة الاشتراك قبل أن تفوتنى فرصة العمر . وتلك رسالة من خالتى الكبرى تدعونى بها لزيارتها بجنيف . وهذا خطاب من وزارة الحرب يؤكد اعفائى من العمل بالجيش ، ويوجه نظرى الى أننى أصبحت مسـئولا عما يقع منى من مخالفات بمقتضى قانون الأسرار الرسـمية الذى أتولى عملى الجديد بمقتضاه .

وما أن اسـتقر بى المقام فى مكتبى بالمنظمـة ، حتى انهمكت فى مراجعة بعض الوثائق السرية للغاية . ومن بينها بعض المستندات عن الكيمياء الحـربية والأفلام الشـديدة الحساسية . واتضـح لى من بعض هذه الأوراق أن وزارة الدفاع الأمريكية واثقة من أن بعض مهندسى شركة الطيران « بى أو ايه سى » يقوم بهذه العملية .

وقمت بالتأشير على هذه الأوراق بما يفيـد تكليف « الفرع الخاص » باتخاذ اللازم . وأقبلت على أليس تنبئنى بأن ضابط استعلامات اسكتلنديارد قد اتصل بها مرتين ليستفسر منها عما هو فاعل ازاء ما وصل الى علمه من أن الصحافة لديها فكرة عن موضوع المنزل رقم ٤٢ . ولما ألحت فيما عساها أن تجيبه به قلت لهـا ، « عليه أن يخبر الصحف بأن الأمر بين يد أحد قضاة المحكمة العليا واحد الوزراء واثنين من كبار رجال الصحافة . وأننا سنوافيهم بكل ما يستجد من تطورات في الوقت المناسب » .

ـ سمعا وطاعة يا سيدى .

وتلقيت التقرير الشامل عن المنزل رقم ٤٢ من المختصين . وألقيت عليه نظرة : « كان بالمنزل آثار أقدام وبقع ، يمكن أن تكون بقع دواء قديمة » . و « عن بصمات الأصابع كان منها الكثير غير المعروف . ولم تزل الادارة المختصة توالى أبحاثها في هذا الشأن ».

وكان على أن ألتقى بروس في تمام السـاعة الثالثة . وقد اصبح هذا اللقاء من مقتضـيات منصبى الجـديد نيابة عن دالبى . وبعثت في طلب بعض الشطائر والحلوى . وبينما كنت أتناول هذه الوجبة الخفيفة ، اقبل تشـيكو ليضع على مكتبى فيلم ١٦ مم ، وليقف

منتظرا اتاحة الفرصة له ليدلى بما لديه . ولكننى لم امكنه من ذلك ، واكتفيت بان أومأت اليه براسي شاكرا ، متشـاغلا بما أمامى من أوراق ، فلم يجد بدا من ان ينصرف كارها .

وجلست احدق النظر فيما أمامى من أوراق ، مسـتعرضا مادون بها وما كان من احداث . ولم استطع أن أربط بين كل ذلك لأخرج بدليل قاطع على مالجاى من يد وعـلاقة بما نحن بصدده مما يشغلنا أمره .

وكنت في حيرة من امرى . هل اواصل أبحاثى وتحرياتى في موضوع هذا المنزل ؟ ولكن على اى اساس ؟ وقررت ان اتبادل الراى فى ذلك مع روس لأتبين منه ما اذا كانت ادارته تواصـل خطواتها فى هذا السبيل من عدمه . ونهضت متجها الى النادى الصغير الذى يؤمه روس في شارع جيرمين ، حيث وجدته قد سبقنى اليه بنصف ساعة . ولم تكن هذه الاجتماعات الاسبوعية لتستغرق منا اكثر من عشر دقائق نستعرض فيها تقدير مخابرات الجيش الذى يرفع الى مجلس الوزراء ، ونتبادل خلالها الرأى في النفقات المشتركة بين الادارتين . وبعد أن دعانى الى كأس من المارتينى ، وقـدمت اليه سيجارة أشعلتها له ، بدأ الحديث قائلا :

ـ الحق اقول لك ، ان تقريرنا لم يعـد بعد . ان سـكرتيرتى تقوم بكتابته الآن .

ولم أعقب بشيء . وآثرت أن ألوذ بالصمت ولا أحرجه كمـا كان يحرجنى عندما أتأخر في اعداد تقريرى ، لأننى كنت أريد أن أعرف منه شيئا عن خطواته في موضـوع المنزل رقم ٤٢ . وكنت أعرف أيضا أن سبيل المبادرة المباشرة مع روس سبيل لا يجـدى ، بل قد يكون عكسيا . وسمعته بعد قليل يقول لى ، ولعل ذلك كان منه لأول مرة منذ أن تعارفنا :

ـ انك لم تزرنى بسكنى المتواضع . اليس كذلك ؟ لقد اصبح

جديرا بزيارتك ، وبالذات حديقته الجميلة ، التى تشعرك بأنك في الريف بين اشجاره وحقوله .

واستطرد في حديثه عن تفاصيل مابذله من جهد في سبيل تنسيق حديقة منزله ، وتشعب به الحديث ليبدأ من أيام خدمته كضابط صغير بعدن ، الى الحديث عن زوجته ، ومن بعد عن ولده الذى أوشك على الانتهاء من دراسته الثانوية ليلتحق بالجامعة ، ثم عرج الى الحديث عن سنوات عملنا معا وأنه كان يعتز بى كعضو منتج في ادارته ، وانه كان يود لو واصلنا عملنا معا ، وأننى حققت الآمال المعقودة على في عملى الجديد وبرهنت على كفايتى وجدارتى به.

وكان هذا التبسط فى الحديث معى ، وذاك الاطراء الذى يغدقه على ، أكثر مما كنت أتوقع . واستبدت بى الدهشة وجلست مستمعا لا أحير جوابا ، محاولا أن أستبين السر في هذا التحول المفاجىء . وفجأة سمعته يغير موضوع الحديث قائلا :

ـ ان سفر دالبى وقيامك بادارة العمل نيابة عنه وتوفيقك في ذلك ، كان موضع ملاحظة من السلطات العليا . ولقد سمعت بشيء من هذا القبيل من السكرتير الخاص لأحد الوزراء . لقد بدأ رجال القمة يتحدثون بالكثير عنك ويطرون نشاطك .

ـ لقد كانت لك جولاتك أنت الآخر . وكانت لك مواقفك المشهودة في الكشف عن كثير مما يدور في الخفاء بالشرق الأوسط .

ـ وكان بوسعى أن أقوم بأكثر من هذا لو تيسر لى من الامكانيات ما هو أوسع وأشمل . وأعتقد أنك تستطيع أن تقوم بأكثر من ذلك لأن امكانياتكم ليس لها حدود .

ـ ولكن ليس لهذا الموضوع ملف خاص لدينا . وقد تيسر لكم هذا الملف ، وهو أساس لا يستهان به .

ـ هذا صحيح . من هنا كان بوسعك أن تشترى منى هذا الملف لو كنت من الأجانب . أليس كذلك ؟ ان لديك من الوسائل

ما يعينك على ذلك . ان هذا الملف يمكن أن يصبح في حوزتك في مقابل مبلغ مناسب .

ـ هل تعنى أنه على ادارتنا أن تشترى هذا الملف من ادارتكم ؟

ـ قد يبدو لك هذا الأمر شاذا . اننى أدرك ذلك . انه اجراء غير طبيعى . وما كنت لأقـــدم على عرض مثل هذا الامر على أحـــد غيرك ، أو على جهة أخرى مثل ...

ـ الروس مثلا .

وهنا تجهم وجهـــه ولمعت عيناه غضـــبا ، وهو يجيبنى محتجا :

ـ كنت بسبيل أن أقول مثـــل البحرية قبـل أن تقاطعنى . وما دمت قد اخترت لنفسك هـــذا الاسلوب الوقح فى تفـــكيرك .. فما أظن أن دالبى لوكان في مكانك بمتبع هذا الاسلوب الصبيانى في تفهمه لعرض مثل هذا . ان لى لشأنا معك عند عودته .

ورأيت أنه قد أحسن اختيار ألفاظه وأجاد التعبير حتى ثـهرت أمامه بصغر شأنى لما اتجه اليه تفكيرى عندما سقت الروس مثـــلا ، وانه تعمـــد أن يذكرنى باشـــارته الى دالبى ، بأننى لست بأكثر من قائم بعمله أثناء غيابه . وانه كال لى الصـــاع صـاعين عنـــدما نفد أسلوب تفكيرى بأنه أسلوب صبيانى ، ليذكرنى بأننى يجب الاينسينى منصبى المؤقت قدر نفسي . وتمالكت نفسي وأنا أصارحه قائلا :

ـ استمع الى ياروس . دعنا نتحدث بصراحة . انك بحاجة ماسة لمبلغ من المال لسبب ما . وأنت على أتم استعداد لبيع بعض المعلومات فى ســبيل الحصـول على هذا المبلغ . غـير أنك لن تبيعها لأمثال الروس والصينيين ممن هم في أشد الحاجة اليها . ولكنك تتلفت حولك باحثا عن مشتر لا يضار ضميرك ببيعها اليه . ولا يعنيك بعد ذلك ماهو فاعل بالملف ، أيحتفظ به لنفسه قاعدة لعمل مجيد يقوم به ، أم ... انك تعرض للبيع شيئا لا تملكه ، على شـخص لم تكن تحبه . ان لدينا ستمائة من الملفات المفتوحة التى لم تتم فصولا ،

وبودى لو أصبحت هذه الملفات ٥٩٩ ، حتى ولو ام يكن في ذلك ارضاء لأحد .

وأتيت على ما تبقى في كأسي من شراب ، ونهضت منصرفا دون أن التفت الى الوراء . ولكننى كنت أستطيع أن أتخيل روس وهو يشد على غليونه بين أسنانه .

- ١٥ -

وخرجت الى شارع بورى لأستنشق هواء نقيا ، بعد أن جثم على صدرى جو النادى الثقيل ، وضيقى بهذه اللحظات التى قضيتها مع روس . لطالما كنت أضيق ذرعا بهؤلاء الناس من طراز روس ، وكنت أنقم على نفسى اذا ما تبسطت فى حديث معهم . ولطالما كان يلذ لى أن أشتبك معهم وأختلف .

وما أن جلست الى مكتبى ، حتى أقبلت أليس تنبئنى بأن كيتلى قد اتصل بى تليفونيا ، وأنها أخبرته بأننى سأكون بقاعة السينما الخاصة بوزارة الحرب فى تمام الساعة الخامسة ، « حيث تشاهد عرضا خاصا هناك » .

فأومأت برأسى موافقا ، وقلت لها ان تقرير روس فى طريقه الينا وأن عليها أن تتولى أمره ، وترفقه بتقريرنا . والتقطت ملفين من أحد أدراج مكتبى قائلة : « لا تترك أدراج مكتبك مفتوحة بعد ذلك ، ولا تستعمل اصطلاحاتك العسكرية ثانية في عملك هنا » . وولتنى ظهرها منصرفة ، وشيعتها بملاحظتى التى تستفزها .

ولما وصلت الى وزارة الحرب ، ودلفت الى حيث توجد قاعة العرض السينمائى الخاص ، وجدت جاويشا من البوليس الحربى واقفا ببابها . كما وجدت كارسويل وموراى وروس ينتحون جانبا

فى ركن منهمكين فى حديث هام كما بدا لى • وكان منضما اليهم رجل من المدنيين ، قوى البنية عريض المنكبين أسود الشعر . والى جانبه كان يقف تشيكو ، الذى كان يتجاذب أطراف الحـــديث مع ميجور من قدامى الضباط .

وبدا لى أن روس هـــو القائم على أمر هذا العرض ، وحيـــانى عند قدومى وكأننا لم نلتق منذ اسابيع • وبعـــد ان اكتمل عقدنا ، وجه الينا روس تعليماته التالية :

ـ لن يذاع مع هذا الفيلم اية معـــلومات ، ولكننا نرحب بكل ما تبدونه من ملاحظات ومعلومات عما تشاهدونه .

ثم أوما الينا بالدخـول الى القـاعة قائلا لرقيب الشرطـة العسكرية :

ـ لا يسمح بالدخول لغير هذه المجموعة .

وسمعت الرقيب يقول :

ـ سيدى !

فالتفت الينا روس قائلا :

آه •• آسف ايها الزملاء • التدخين ممنوع كما تعلمون •

واطفئت الأنوار بالقاعة ، وجلسنا نشاهد عرض بضع مئـات من الاقدام لفيلم صامت مختلف الصور والحركة • وكانت معظم اللقطات لرجال تتراوح اعمارهم بين الثلاثين والخمسين وكانوا حسنى البزة وفى أتم زينة • ولم نستطع أن نبين من اوضاعهم ، عما اذا كان التصوير بعلمهم او بدون علمهم • وما أن اضيئت الأنوار ، حتى تبادلنا جميعـا نظرات ساهمة • ثم سألت روس ، « انى لكم هذا الفيلم ؟ اعنى ، ماهو موضوعه ؟ » ولم اكن انتظر أن أسمع منه صدقا •

ـ الحق أقول لكم ، اننا لا نعرف على وجه التحـديد زمن التصوير . ونحن نطمع في المزيد من هذه اللقطات . هل من أسئلة أخرى ؟

وكلفنى به يريد أن يلقى في روعنا أنه قد أجاب عن سؤالى اجابة شافية مقنعة • وران على الحاضرين صمت مطبق ، لم يعقب خلاله احد على تساؤل روس • ولم أجد جدوى من اعادة الاستفسار لأننى كنت أعرف النتيجة مقدما . وآثرت الانصراف في سكون . وغادرت مبنى وزارة الحرب الى اسكتلنديارد. لمقابلة كيتلى .

ورأيت كيتلى واقفا بالدهليز • وكان يبدو دائما أكبر من سنه ، رقيق الحاشية ، مما لا يجعل له مكانا بين رجال الشرطة . وكان دقيقا فى عمله وفى مواعيده وفى تنفيذه لما يصدر اليه ويصدر عنه من أوامر • وما أن رآنى حتى أسرع للقائى ، وكان يحمل علبة للافلام تبلغ ثمانى بوصات عرضا . وتقدمنى الى غرفة مكتبه ، وأوصدت الباب بعدا دخولى .

وبعد أن قدم لى قدحا من الشاى ، وقام باشعال غليونه ، واستقر بنا المقام ، بدأ الحديث فى العمل قائلا :

ـ هذا المنزل رقم ٤٢ . لقد قام رجال الشرطة بكل ما يمكن أن يطلب منهم القيام به . بصمات أصابع وبقع دماء ... الى آخر ذلك من جمع الآثار والمتعلقات التى تتصل بمسرح الجريمة . وقمنا باجراء التجارب والتحليلات والمضاهاة ، ولكننا لم نستطع ان تهتدى الى شيء .

فقاطعته قائلا :

ـ كيتلى ، ان وقتك ثمين ، وكذلك أنا . اننى أعرف جميع هذه التفاصيل • ان كل ما أود أن تخبرنى به ، هو فيم كانت رسالتك التى بعثت بها •

ـ مجرد اجراءات .

وأدركت انه لا جدوى من أن أحصل منه على ما ابغى ، وان على أن أعتمد فى هذا على مجهودى الخاص ، وأن أتحرى كل شيء بنفسى ، لأن التعاون مفقود بين جهات الاختصاص المختلفة ، بناء

على ما ترمى اليـه كل جهـة من نسبة الفضـل اليها . لقد اسـهب فى سرد تفصيلات ما قام به رجاله من بحث وتنقيب بالحـــديقة وبالمنزل ، حتى أسماء الكتب لم يضن بها على . ولكنه ضن على بطرف الخيط الذى يمكننى به أن أتبين معالم دربهم الذى يسلكون . حتى علبة الأفلام التى كانت بيده ووضعها أمامه على المكتب ، لم يرغب فى أن يطلعنى على شىء عنها ، ولما سـألته عنها راوغ وداور ولم يشـف غليلى .

غير أننى وفقت فى ان اتبين من حديثه ، ان الفيـــلم الذى عرضه روس علينا بوزارة الحرب ، كان من بين ما عثر عليه فى المنزل رقم ٤٢ . ولمـا ادرك كيتل منى هذا ، أسـقط فى يده ، وانتهـزت فرصة ارتباكه ، وألقيت عليه محاضرة فى ضرورة التعاون بيننا ، وصارحته بأن شيئا ما لن يخفى على ادارتنا ، وأن التعاون معنا قد يكون أجدى من التعاون مع مخابرات روس .

ويخيل الى ان الرجل اقتنع بمنطق حديثى . اذ انه بعد ان أطرق قليلا ، التفت الى بنظرات متسائلة عما أريده منه على وجه التحديد . ولما كنت فى غنى عن أن يردف نظراته بأقواله ، فقد رأيت ان أعفيه من ذلك قائلا :

ـ أريد أن أعرف كل شىء عما عثرتم عليه بالمنزل أو بالحديقة .

ورأيته يخرج شريط التسجيل من علبة الافلام ويثبته فى جهاز التسجيل الكبير الموجود بالمكتب . وانبعث من الجهـــاز صـــوت مبهم تجرد من كل معنى ، سجل عن بعد فى حيز مغلق .

ـ اصوت حيوان هذا ، أم هو ترجيع لرنين معدنى ؟

ـ انها أصوات بشرية كما يقولون .

وحاولت ان اتبين من هـــذه الاصوات المنبعثة من جهـــاز التسجيل طبيعتها . هذا النباح والعويل ، وذاك البكاء الفزع ، وهذا الثغاء والنهيق والعواء النائح ، لم يكن من اليســـير مجرد الاستماع اليهـا ، وليس فقط تحـــديد معالمها وكنهها . فقلت لكيتل « لم أســتطع ان

أتبين من كل هـذا شيئا . ولكننى سـاحمل الشريط معى واعيـد الاستماع اليه عسى أن اخرج من ذلك بنتيجة ما ؟
ولم يمانع كيتلى فى ذلك ، وودعنى شاكرا .

- ١٦ -

لم أتوجه الى مكتبى فى صباح اليوم التالى ، حيث آثرت ان ابتاع بعض حاجياتى بنفسى من السـوق ، وعرجت على محـل ليد لتناول قدح من القهوة .

وبدا لى المكان مظلما ، بالنسبة لضوء الشمس السـاطع فى الخارج . واتخـذت لى مقعـدا فى ركن من الكافتريا ، اقـرأ الديلى اكسبريس وارتشف قهـوتى فى تراخى الكسل . ورحت اتصفح الصحيفة متنقلا بين أبوابها المختلفة ، ناعما بجلستى الهادئة ، وبتـبخين سجائرى المفضلة فى هذا الركن البعيد عن كل ضوضاء وصخب .

ومكثت فى جلستى هذه قرابة النصف ساعة ، بعيدا عن مكتبى وعما يشغلنى فى الصباح من أعمال روتينية ومن اتصـالات تليفونية ومن هذه التقارير الواردة من وزارة الدفاع بواشنطون (من مدير العمليات الخاصة وجهاز المخابرات للجيش الامريكى) ، التى كانت تعرض على فى غالب الايام . كما كانوا يبعثون الينا ، فى كل أسبوع ، بموجز لما يرون اطلاعى عليه مما يعرض على رئيس الولايات المتحدة من نتائج نشاط المخابرات . وذلك كله ، علاوة على ما يعد لى من ترجمة لفقرات من الصحف الاجنبية ـ كالبرافدا وغيرها من صحف شيوعية لبلاد أخرى .

ولقد تراكمت كل هذه المواد خـلال الأيام القليلة الماضية . ورأيت انه لا مانع من ان تزداد هـذه الحصيلة يوما آخر . واستمرت جلستى الهادئة ، وأرسلت فى طلب قدح آخر من القهوة ، وتركت

نفسى على سجيتها ، فاضطجعت فى مقعـــدى مستريحا ، منطلقـــا مع أفكارى التى تركت لها العنان .

ودخلت من باب كافتيريا الليد الخشبى القديم ، فدخلت بذلك فى حياتى بهدوئها وشعرها الفاحم ونظراتها الخطرة . ورأيتها تقف لحظة حتى تألف عيناها ظلام المـكان • ثم راحت تتلفت يمنـــة ويسرة فى تؤدة وثبات ، حتى استقر رأيها على الجلوس الى المنضدة الصغيرة المستديرة التى كنت أجلس اليها . وطلبت لنفسها قدحا من القهوة وقطعة من الكرواسنت . وتأملت وجهها القـوى التعابير ، وعينيها الناعستين الجميلتين كالمأخـوذ ، وشـعرت بأننى أكاد أن أغرق فى أعماقهما دون أن أستطيع لسحرهما ردا . وكانت تعقص شـعرها الاسود الفاحم فوق رأسها ، فبدا كتيجان الآلهة تعلو وجهها الحازم فى سمو واعتداد بالنفس . وراحت ترتشف قهوتها على مهل ، بشفتين تمسان القدح فى رفق الحنان .

وكانت ترتدى ثوبا أسود مما ترتديه النساء فى حفلات الكوكتيل والسهرات الليلية ، يكشف عن ذراعين يتسقان مع اليدين الرقيقتين بأظافرهما المتخذة لونها الطبيعى . وجلست أتأملها ، حتى وهى تقضم بأسنانها اللؤلؤية قطعة الكرواسنت . واعجبنى منها أنها لم تحاول أن تصفف شعرها بيدها كسائر النساء المتأنقات ، أو تخرج مرآتها مع قلم أحمر الشفاه لتعيد تخطيط شفتيها ، أو أهداب عينيها . وفجأة سمعتها تبدأ الحديث معى بتقـديم نفسها الى . انها جين تونيسين ، مساعدتى الجديدة فى العمل •

يا لأليس الماكرة ! انها لا يفوتها شىء من هذه الحيل . فلقد تذرعت بتسليم جين ملفا عاجلا ، مع مذكرة من تشيكو يستأذن فيهـــا بالتغيب عن عمله حتى ساعة تناول الشاى . ومن شأن تصرفها هذا أن يثير الغضب ، ولكننى آثرت ألا أبدأ عملى اليومى بما يعكر صفوه. ودعوتها الى تناول قدح آخر من القهوة ، فقبلت شاكرة . ثم سألتها :

ـ من أية ادارة قدمت الينا ؟

ـ اننى اتبع ادارتكم فعلا ـ كنت أشغل منصب ادارة الفرع فى ماكاو .

ولما تبينت ما بدا على وجهى من دهشـة ، افتر ثغرهـا عن ابتسامة رقيقة ضاعف من جمالها وعج عينيها . وقلت لها :

ـ لعلك غير راضية عن عودتك الى أوروبا ـ حتى ولو كان هذا فى ايام الصيف الجميلة . انى لأذكر مطعما فى ماكاو ، كان مقاما أعلى كازينو للقمار . وكان الراغبون فى المراهنات يسـلمون السـاقيات ما يراهنون به من مبالغ ويتابعون نتائجها على اللوحة المعـدة لذلك بالمطعم .

فعادت للابتسام ، وطاب لى ان أجلس فى مكانى هذا أتأمل تلك الابتسامات النقية التى يفتر ثغرها عنها . وحرصت على أن تشعرنى دائما بأنى رئيسها الأعلى . فقالت لى :

ـ لقد أتيتك ببطاقة نقلى .

ـ دعينا نلقى نظرة عليها .

وبدأت أصور لنفسى فى أى اطار وضعتنى أليس أمام مساعدتى الجديدة . ولم يكن لأليس أن تفعل شيئا من هذا القبيـل لأن ليد ليس بالمكان اللائق لمثل هذا اللقاء . وقدمت لى جين تونيسين بطاقة خضراء • بطاقة مما يودع فى ملفـات الموظفين • واطلعت على البيانات المدونة بها ، لأعرف أنها من مواليد القاهرة ، منذ ستة وعشرين عاما، من أب نرويجى وأم اسكتلندية . وهى تتقن اللغـات النرويجيـة والانجليزية والبرتغالية والألمانية والفرنسـية كتـابة وحديثا . وتلم باللغات اليابانية والصينية وما شابههما •

ولا يوجد بالملف الخاص بخـدمتها ما يحـول دون ترقيتهـا الى مناصب أعلى . وأعدت لها البطاقة شاكرا معلنا لها موافقتى عـلى الحاقها بالعمـل معى . وكنت راضـيا عن يومى وعن نفسى وعن جاسوستى الحسناء . حتى ولو لم تكن هى جين تونيسين ، ولم تكن هذه هى بطاقتها ، فانها لم تزل جاسوستى الحسناء الأولى .

واعادت البطاقة الى حقيبة يدها الصغيرة • فسالتها :

ـ بماذا تحتفظين بها ؟ ابمسدس صدفى المقبض من عيار ٢٢ ؟

ـ كلا • انى احتفظ به مثبتا الى رباط ساقى •

ـ حسن • ماذا تبغين للغذاء ؟

وعندما تصطحب معك فتاة جميلة فى لنـدن لتناول طعـام الغـداء فيجب أن تذهب بها الى مطعم ماريوتيرازا . وجلسنا الى مائدة بالدور الأرضى فى ظل أشجار الكروم الصـناعية . وقـدم لنا ماريو شراب الكمبارى بالصـــودا ، قبـل ان يقدم لنا حسـاء العـــدس الذى أعاد لجين ذكـــريات أعوام ولت ومضت فى صقلية مع والدها عنـــدما كانا يقومان بزيارة اصدقاء لهما كل عام لمناســبة الاحتفال بعيـــد سانت جوزيف فى ١٩ مارس من كل عام • وسمعتها تقول حالمة :

ـ يا لهـــذه الأيام الخـوالى فى ربيـــع الشمس المكتمـل الدفء والحياة

ونعمنا بوجبة دسمة طيبة متعددة الألوان . ولاحظت أنها لم تدخن عنـــدما أتانا ماريو بقدحين من القهوة السوداء • ولـكن ، أولا يمكن أن يكون لهذه الفتاة نقائص ؟ أو يمكن أن تكون كلها فضائل فى فضائل ؟

ورأى ماريو أننى مقبل على مغامرة غرامية لها شانها ، وأتانا بزجاجة من شراب الأستى الفوار المثلج « على حساب المحل » . وقال لى وهـــو يصب ما تبقى بالـــزجاجة فى كاسى ، « كل شىء على ما يرام ؟

بكل تأكيـد ، فان كل شىء كان على ما يرام . الخمر وجين . لقد تآمرنا على اشاعة روح من الرضا والشعور بحسن الحـــال فى نفسى • وساندتهما فى ذلك أشعة الشمس النافذة من ظلال الكرمة لتنعكس على وجهها الجميل فتزيده اشعاعا مع ابتسامتها . وصحوت من أحلامى على ضوضاء بالخارج . كان سائق احدى السيارات فى مناقشة حامية مع أحد رجال المرور . وبينمـا كنت أتأمل حركة المرور بالشـــارع

المزدحم ، استرعى انتباهى وقوف سيارة اجرة على بعد بضع ياردات منا وقد غادرها رجلان ، واصلا سيرهما مشيا على الأقدام من الناحية الاخرى لها • واستطعت ان المحهما بقدر ما اتاحته لى حركة المرور ، وقبـــل ان تحجبهما السيارات فى غدوها ورواحها •

وكان أحد الرجلين فى طول قامة جاى وعرض منكبيـــه . وكان الثانى صورة من دالبى حركة وروحا . ووجـدت نفسى فجاة وقـد استيقظت كل حواسى وتنبهت مشاعرى وشدت اعصابى •

- ١٧ -

لأول مرة منذ شهور تفتح نافذة غرفة مكتبى على مصراعيها• ولأول مرة منذ استقرارى بهذا المكتب ، تصل الى سمعى أصوات ضوضاء الشارع وضجيج حركة المرور به • وكانت أليس قد خلقت مهمة بالخارج لجين لتبعدها عن المكتب ، ريثما تأتينى بالملف الحقيقى لجين تونيسين • وقمت بمراجعته ووجدته يكاد أن يطابق البطاقة التى اطلعت عليها من قبل ، اللهم الا من بعض التفصيلات التى لا تتعارض مع البيانات الأساسية عن كل ما يتعلق بهذه الفتاة • ووجدت توصية بذيل الملف بعدم اقحامها فى اية مهمة تتعارض مع ما يجب عليها من ولاء للنرويج • وبعـد أن انتهيت من ذلك ، قالت أليس :

ـ هل تود أن تطلع على آخر بيانات من كارسويل ؟

ـ أخشى الا يكون ثمة متسع من الوقت لذلك •

وفى الحق أننى كنت قد ضقت ذرعا بكارسويل وبعمل كارسويل • ولولا اننى كنت لا أريد أن أفقد مورای وِأرغب فى الانتفاع بخدماته . لاتخذت اللازم لنقل كارسويل •

وأقبل كارسويل ، فقلت له وهو يتهيأ للجلوس :

ـ كيف تسير الأمور ؟

ـ على ما يرام ٠

وفتح الباب ، فاذا بها أليس تعود لتسترجع ملف جين ، وتعيد كل شيء الى مكانه ، كما دابت على ذلك منذ ان حللت بفرقة دالبى ٠ وظل كارسويل يثرثر حتى كدت أن أنهض مغادرا مكتبى ، لأتخلص من ثرثرته التى خيل الى انه لن يكف عنها ٠ ويلوح ان أليس قد فطنت لما يجول بخاطرى ، اذ رأيتها ترمقنى بنظرات مشفقة ٠ وعندئذ اتصل بى تشيكو عن طريق الخط ؟ ٠ وفى الوقت نفسه سمعت رنين التليفون الخارجى ٠ ورفعت السماعتين ، وبدأت الأحاديث التليفونية ٠

ـ أين انت الآن ؟ من أين تتحدث الى ؟ وماذا تفعل بربك فى جرانتهام آ

ـ دعنى اتحدث اليه يا سيدى ٠ انه لم يفعل شيئا بشأن طلبات الأفلام ، التى يجب أن يبعث بها اليوم » ٠

ـ ليس لك عمل فى جرانتهام ٠ من الذى اعتمد استمارة سفرك ؟ آه ، أنت ٠ اذن فعليك أن تتحمل نفقات سفرك ٠

وفى الوقت نفسه سمعت كارسويل يقول : « ان مورای ممن يمكن الاعتماد عليهم لو أوليته ثقتك ٠ اننى أقدره ، وأحيى فيه اقدامه » ٠

ـ ترى ماذا تظن عما عساه أن يكون لى من دور فى مسرحية حياتك ؟

ـ أجل يا سيدى ، انى أعرف أنك الرئيس الأعلى ، ولكننى عندما رايت يا سيدى ٠٠ »

ـ « أجل ياتشيكو ، أجل ٠ لقد أحسنت لأول مرة ٠ احسنت فى قولك أننى رئيسك الأعلى المسئول ٠ ترى لو كان دالبى موجودا ـ كنت تتصرف هكذا ؟ »

ـ لقد التقيت بدالبى يا سيدى ، وتحدثت اليه ٠ وسأقابله ثانية مساء اليوم » ٠

ولم يزل كارسويل مصرا على أن يعرض على أوراقه ٠ ولم يعفنى من ذلك بالرغم من انشغالى بهذه الاتصالات التليفونية ٠ ورايته ينهض

واضعا امامى بضع صفحات من الاوراق على مكتبى ، وهو يقول : » ان هذه الأرقام ليست الا مستخلصا موجزا لما انتهيت اليه من نتائج ، لأننى لا أود ان اشغلك بالتفصيلات الدقيقة • انك لا تريد الا الاطلاع على النتائج لا المقدمات • وأعتقد انها نتائج مرضية تحليلية مقنعة » •

ـ ليس من شانك أن تقابل دالبى ، ولم يكن لك أن تلتقى به •

ـ لم يكن من الصواب يا سيدى ، أن تقول انك الرئيس الأعلى فى خط مفتوح •

ـ ليس لك شأن بهذا يا أليس ، اخرجى من الخط •

ـ اذن فهى نتائج تحليلية مرضية ، ولكنها ليست باكثر من الهام بما هو آت او على وشك أن يحدث •

ـ ليس لك أن تتخطانى كرئيس مسئول • ليس فى سلوكك هذا شىء من العسكرية أو النظام المرعى •

ـ لا يجمل بك أن ترفع صوتك بهذا على خط مفتوح كما قلت لك ، فثمة جهات أخرى ستستمع الى هذه التصريحات •

وكان كارسويل لم يزل مواصلا شرحه لما وضعه امامى من أوراق • « اننى واثق من أن مجرد اطلاعك على هذه النتائج سينبئك بالكثير ، لأنك شديد اللماحية سريع البديهة • وان اعدادها ليتطلب مهارة وتدريبا وتدريبا خاصا » •

ـ لقد تعرفت على هذا الرجل يا سيدى • وذلك فى الفيلم الذى شاهدته فى وزارة الحرب • انه صديق لابن عمى ، ياسيدى • وهو واسع الباع فى علم الكيمياء • سأقابل دالبى الليلية ثانية • وهو يرى اننى يجب أن اتخلف هنا لبضعة ايام اخرى • وكان دالبى قد سألنى الا اخبر بهذا احدا ما ، ولكننى مضطرا ان اصارحك بالأمر كله حتى لا تتساءل عن السر فى غيابى • اضف الى ذلك اننى لم اكن قد اعددت بعد طلبيات الأفلام » •

وفى هذه اللحظة ، طوى كارسويل اوراقه واعادها للملف الخاص

بها قائلا : « سيقوم موراى باستكمال هذه الاجراءات • غير انى ارجو موافقتك على نسبته الى «القسم المخصوص» التابع لشرطة العاصمة • وكنت اريد الاتصال بك فى الاسبوع الماضى ، ولكن موراى قال لى اننا لا يمكن ان نبدأ عملنا قبل أن يكون تحت يدنا النتائج الاحصائية المناسبة • ولقد وفقت أخيرا فى اعداد هذه البيانات » •

كيف يمكن ألا يفطن كارسويل الى أن لى أذنا واحدة وعقلا واحدا• وفى الوقت نفسه سمعت تشيكو يقول على الخط : « هل أتصل بك تليفونيا باكر بعد اتصالى بدالبى يا سيدى ؟ » ، ودخلت أليس الغرفة قائلة : ان جين هنا يا سيدى ، « وحاولت أن تخفى ملف جين السرى بين غيره من ملفات » •

ـ أهلا بسيدتى الجميلة •

ـ كلا يا سيدى ، لا تضع السماعة • اننى لم أفرغ من حـــديثى معك بعد » •

ـ لقد عانيت كثيرا فى المهمة التى عهد الى بها يا أليس • وقالوا لى انه لا يمكن اعداد المطلوب قبل صباح الغد » •

ـ اليك مقعدى ، وان كان غير مريح كما يجب •

ـ ولكنهم قالوا ان كل شىء ســـيكون معـدا فى الســاعة الرابعة والنصف • وهكذا لا يمكن التعويل على مواعيدهم •

ـ ان صديق ابن عمى هذا يا سيدى ، يعد من كبار الكيمائيين الحربيين • وقلت اننى لو تحدثت اليه ••• »

ـ كلا • لقد قضيت يومى جالسة •

ـ كيف تأتى لك أن تلتقى بدالبى ؟ كيف تم هذا اللقاء ؟

ـ هل أكلف موراى بالبدء فى العمل يا سيدى ، على أن يحرص على عدم اثارة الحفظة على القانون ؟

ـ هل حددوا ساعة الاستلام فى الصباح يا جين ؟

ـ كان ذلك مصادفة • وفى مكان شنيع • حيثما تلتقى بدالبى دائما •

ـ ألم يسبق لى أن زرت جرانتهام من قبل ؟

ـ ذكره يا سيدى بطلبيات الأفلام • انه الوحيد الذى يلم بوسيلة الحصول عليها •

ـ كلا ، ان هناك مقعدا خاليا لو كنت أرغب فى الجلوس •

ـ حدد لى مكان اللقاء •

ـ سأفحص جميع النتائج معك اذا رغبت فى ذلك •

ـ هل أنهى المحادثة يا سيدى ؟ ان الساعة قد جاوزت الخامسة والنصف •

ـ فليكن • اتصل بى فى مثل هذه الساعة من الغد • وسأقوم بنفسى باعداد طلبيات الأفلام • حظ سعيد يا تشيكو » •

وهكذا دار الحديث الشخصى والتليفون فى غرفة مكتبى فى آن واحد كما نقلته لك • وهكذا كان يصر كارسويل على أن يعرض على نتائجه وبياناته ـ وهى البالغة الأهمية كما يقول ـ بينما كنت مشغولا بحديثى التليفونى • وهكذا لم أستطع ان أناقش كارسويل فيما كان يعرضه على كما يجب • وقد اعتمدت فى موافقتى على ما سألنى اياه على حسن تنفيذ موراى للأوامر • وغادر كارسويل الغرفة متأبطا ملف بياناته الاحصائية • وفى يوم الاربعاء ، قمت بانجاز ما تأخر من عمل تشيكو المستعجل • وبعد أن تناولت قدحا من القهوة فى الفيتزروى ، عدت الى غرفة مكتبى لأجدها مضاءة • فعجبت من ذلك ، ورأيت أن أتوخى الحذر فى دخولى • وأدرت مقبض الباب النحاسى بهدوء وعلى مهل، ثم دفعت الباب لأجد أمامى دالبى يحيينى مقدما لى كأسا من البراندى •

وجلس دالبى الى مكتبه ، وكان لدى الكثير مما أريد الاستفسار منه عنه ، ومما أريد أن أخبره به • ورأيته يدور بعينيه فى غرفته وكأنه تغيب عنها دهرا • ثم استقرت عيناه على وجهى ، وتبادلنا نظرات صامتة معبرة • وأخيرا بدأ الحديث قائلا بصوته العميق ، « ألم يسبق لك أن رأيت فنبلة تنفجر ؟ » وكنت أنا الذى أريد أن أسأله عن الكثير• وها هو يعكس الوضع ويبدأنى بالسؤال • ولما حركت رأسى نفيا استطرد قائلا :

ـ انك بسبيل أن ترى ذلك الآن • فقد طالب الوزير المختص بأن يحضر اجراء التجربة الامريكيـة التاليـة • ان وزارة الدفاع الامريكية تزعم أنها توصلت الى ضغط الهزات الارضية الناشئة عن هذه التفجيرات• كما يقولون انهم سيضاعفون بهذا التفجير النتائج التى حققها الروس • ولقد أخبرته بأننا أمسكنا بطرف الخيط عن بعض العلماء البريطانيين الموجودين هناك » •

ـ بعضهم فعلا ، اذا صدقنا ما يقوله كارسويل • اذ يزعم انه أمسك بالخيط عن ١٨ من خمسين ، بما فيهم ١١ من مساعدى المعامل • هذا اذا كان ما يقوله صحيحا •

ـ لقد علمت من أليس بكل ما كان بينك وبين كارسوبل • يمكنك أن تستغنى عن خدمات كارسويل هذا ومساعده ، فلدينا ما يكفينا •

لقد أزاح دالبى عن كاهلى عبء الكثير • يا له من رجل خلق لمثل هذا العمل فعلا • فها هو بعد غيبة شهرين يعود فى منتصف الليـل دون سابق اخطار ، ليبدأ العمل ويصدر قراراته ولما يخلع عنه بعـد ثياب السفر • واستطرد قائلا :

ـ ان هـــذه التجربة ستكون فى يوم الثـــلاثاء • وانى لذاهب لحضورها • يمكنك الاستعانة بمن يساعدك اذا رغبت فى هذا •

وتساءلت فيما بينى وبين نفسى ، عما اذا كان قد أحيط علما بنقل جين كمساعدة لى ، وعما اذا كان من حقى أن تكون لى مساعدة فى حالة عودته لتسلم مهام منصبه • وسألته بدورى :

ـ هل تريد أن يرافقنا تشيكو ؟

ـ أجل • اتصل به تليفونيا ، ليعد لنا تذاكر وجوازات السفر •

ـ ان الســـاعة الحادية عشرة والنصف • هل تعـــرف أين يمكن الاتصال به ؟

ـ وأتى لى أن أعرف ؟ من هو المسئول عن العمل هنا فى الاسابيع الماضية ؟ أليس لديك رقم تليفونه ؟ اننى لم أقابله منذ أسابيع •

ـ انه فى جرانتهام • او •••

ـ ومن كلفه بالسفر اليها ، ولماذا ؟

وكنت فى حيرة من أمرى • ولم استطع ان اتبين ماذا يرمى اليه دالبى من هذا • ولكننى قررت أن أواصل تجاهلى قائلا : « كان هناك ما يستدعى سفره ، ولعدم وجود من يوثق به غيره • انه سيعود فى مدى يومين على الاكثر » •

ـ فليتم انجاز مهمته • يمكن أن تقوم اليس بما كنا نبغيه منه •

واومأت برأسى موافقا • غير أنى بدأت اشك لأول مرة ان ثمة من الأمور ما لا استطيع له فهما • وآثرت أن اسلم بالأمر الواقع وان احنى رأسى أمام ما يجرى من تيارات فى الوقت الحاضر •

كانت مجموعة جزر توكوى المرجانية أشبه بفتات بقايا طعام افطار على غطاء مائدة ازرق اللون • وكان لكل جزيرة منها خلجانها الخضراء التى صمدت لزرقة مياه الباسفيك الطاغية وهى تضرب صخورها متلاطمة فى غضب ، وترتد عنها مزبدة وقد عز عليها ان تقاومها بشواطئها وتقف حجر عثرة فى طريق انسيابها • وكنت ترى حول هذه الجزر ، هنا وهناك ، مخلفات السفن الغارقة والدبابات المحطمة ، منذ عام ١٩٤٤ ، حينما تعرضت هذه المعدات لغارات الأعداء •

وقد شاهدنا كل هذا وغيره ، عندما كنا نحلق بطائراتنا الهليوكبتر فوق الجزيرة التى قدر لنا أن نهبط فيها • وما أن استقرت بنا الطائرة على الأرض ، حتى أسرعت الينا سيارة جيب بيضاء اللون ، كان بها أربعة رجال من الشرطة الجوية بملابسهم الكاكى وعلاماتهم المميزة وشاراتهم المثبتة الى صدورهم •

واينا عجبا • راينا كيف صارت اليه هذه الجزيرة التي وقع عليها اختيار الامريكيين من بين مئات هذه الجزر المهجورة ، وكيف زودوها بمطار ، وملاعب ، ودور سينما ، وكنيسة ، وحوانيت ، ونوادى للضباط، ومكتبة ، وصيدليات ، ومكتب بريد ، ومولد كهربائى ، الى آخـر ذلك مما جعلها قطعة من العالم المتمدن المتوفر فيه كل اسباب الحياة العصرية ووسائل المعيشة المريحة • وذلك كله فى فترة لم تتجاوز التسعين يوما• وقد بلغ بى اعجابى بهذه الجزيرة المستحدثة الاساليب اننى تمنيتللندن مثل هذا الاعداد والتجهيز • ولقد ثبت كل منا ـ دالبى وجين وانا ـ على صدره شارة من البلاستيك بها صورته الفوتوغرافية واوصافه ، مع حرف ك بعـــرض الشارة • وقد خول لنا بمقتضى هـذه الشارات حق الطواف باى مكان فى الجزيرة ، بما في ذلك الدخول الى ارض المعامل السرية •

وقضـــينا الساعات الاولى فى القاء نظـــرة عامة على هذا المشروع الضـخم • وقد اصطحبنا فى جولتنا ميجور من الجيش تعى ذاكرته كل التفصيلات والأرقام • وقام بايضاح الكثير عن القنبلة المزمع تفجيرها • واسهب فى الحديث عن اليورانيوم وعن البلوتانيوم او ٢٣٥ ـ ى ، وعن دقائق التفجيرات النووية وكل ما يتصل بها • وكان كلما انتهى من فقرة ، تطلع الينا وكانما كان ينتظر منا ان نصفق له •

وانتقلنا الى جزيرة اخرى وقع عليها الاختيار لتكون مكانا لتفجير القنبلة • وكانت الجزيرة تعج بالاجهزة والمعدات • وتولى الميجـــور شرح الكثير عن طبيعة كل منها • كما زرنا برج الانطلاق الذى بلغ ارتفـاعه اكثر من ٢٠٠ قـــدما ، وكان محاطا عنـــد قاعدته بلافتات كتب عليها بالحروف الكبيرة كلمة « خطر » وتحتها زيادة فى التأكيد على الطريقة الامريكية عبارة : « متفجرات شديدة » •

وكانت جولتنا الثالثة ، فى المكان الذى حدد لعقد الاجتماع برئاسة باترزباى • وكنا اربعة عشر ، جلسنا حول منضدة مستطيلة ، وامام كل

منا ورقا أبيض وقلما جافا وكوب ماء مثلج • وكنا جميعا فى لهفة لنسمع باترزباى يبدأ الحديث • وبعد اصداره لبعض الاوامر الشكلية ، وجه الينا الحديث قائلا :

ـ حاولوا أن تكونوا أكثر تقاربا وتفاهما • بمعنى ان تصـــوروا لأنفسكم انكم تعرفون بعضكم بعضا •

ونهض ضابط الاستعلامات الذى طاف معنا بالموقع الى سبورة رسم عليها دائرة ، كتب فى داخلها (يورانيوم ٢٣٥ « او بلوتونيوم ») • ثم كتب فى أعلى السبورة من اليمين « ١٦ يوليو سنة ١٩٤٥ » • وبعدها كتب « هيروشيما ، ٦ أغسطس ١٩٤٥ » تحت التاريخ الاول • واضاف الى هذه القائمة « نجازاكى ، ٩ أغسطس » • وبعد ذلك استطرد فى شرحه الفنى العلمى الى أن قال : « ونظن أن الروس قد فجروا هذا النوع من القنابل فى عام ١٩٤٩ » • وذلك بعد مقدمات فنية عن تطـورات صناعة القنبلة الذرية • واستمر يخطط على السبورة ويكتب مختلف التواريخ ، منتقلا من شرح الى شرح ومن تعليق الى تعليق ، ومن اليورانيوم الى البلوتونيوم الى قنابل الهيدروجين الشديدة الانفجار ، الى آخـر هـــذه التطورات العلمية التى شغلت بها الدول الكبرى من عام ١٩٥٢ • ورايت السبورة وقد غطتها الدوائر والخطوط والارقام والتواريخ والمصطلحات ، حتى بلغ الميجور من شرحه المرحلة التى حضرنا من أجلها هذا الاجتماع بجزيرة توكوى ، فراح يمحو بعض الارقام والحروف ويكتب أخرى بدلا منها ، مواصلا شرحه الذى ملك منا الالباب ، واثار فى نفوسنا الدهشة والاعجاب • وذلك لأن ما كان يلقيه على مسامعنا فى تلك اللحظة بالذات، من الحقائق المذهلة المروعة • ان هذه القنبلة التى قدمنا لنشهد تفجيرها تبلغ فى قوة تدميرها ٢ر٥٠٠ ضعف قوة تدمير قنبلة هيروشيما • وتأملت من حولى من طرف خفى ، فوجدت أن بعضهم قد فغر فاه دهشة وهـــو يصغى لآثار هذه القنبلة وما تلحقه من دمار يمتد أثره الى مئات الاميال، حتى لا تكاد ان تبقى على شىء من مظاهر الحياة ، ولا تذر جمـــادا فى

صورته التى صاغه فيها الأنسان • انها ستهلك الحرث والنسل وتفنى الوجود

ونهض باترزباى واقفا ، بعد أن جمع الميجـــور أوراقــه وعاد الى مقعده • وبدأ يلقى على مسامعنا محاضرة طويلة عن الاجراءات الدفاعية الصادرة لكل عدوان من الجانب الآخر ، وما يعد من احتياطات أمن وقائية للتخفيف من آثار هذه الاسلحة الفتاكة •ودخل فى تفصيلات مثيرة شدت اليها انتباهنا ، وتتبعناها فى انصات وتدبر • وانتهى الاجتماع بتشكيل لجـان فرعية توالى دراسة كل التفصيلات والاجراءات • وكانت لجنتنا مؤلفة من سكيب هندرسون والليفتنانت دولوبوفسكى وجين ، بينما كان على دالبى أن يجتمع فى جلسة سرية بمساعدة باترزباى • واقترح سكيب أن نذهب الى جناحه القريب من البحر بالمعسكر ، حيث ننعم بجهاز تكييف الهواء، وبمنظر البحر ، وبكؤوس من الويسكى وغـيره ، تلطف ما نعانيـــه من حرارة الطقس •

وبعد أن قدم لنا سكيب كؤوس الويسكى المثلج ، ورحب بنا فى جناحه ، لاحظت أنه ينتظر منى أن أبدأ الحديث • ولم اخيب ظنه :

ـ ان الامر لا يعدو أننى أصبحت من يعهد اليه بالكشف عن الجرائم الغامضة ، حتى يمكن أن تطلق على بحق أننى خبير الجرائم التى لم يهتد فيها الى حل ـ فهل يستدعوننى كلما وقعت بين أيديهم جريمة لايجدون لها حلا ؟

ـ وتقوم بكشف الستار عن معمياتها ؟

ـ كلا ، بل أنشىء لها ملفا وأشرع فى تقصى آثارها ، ويظل ملفها مفتوحا •

وقدم لى كأسا آخر ، فتناولته منه وأنا أتأمله قائلا : لعلك أتيت هنا ببعض الملفات عن هذه الظاهرة • وكنا متفاهمين بأعيننا بأكثـــر مما يمكن أن نتفاهم به بالالفاظ • وجلس على حافة فراشه وفتح حافظة أوراقه قائلا : لا يمكن أن أعطيك صورة صحيحة كاملة عن هذا الموضوع• غير أنه مما لا شك فيه أننا فى وضع لا نحسد عليه • فما أن نوفق فى

الكشف عن جديد فى معاملنا ، حتى يذاع أمره ويعرف كنهه فى الناحية الاخرى ٠

ـ بمعنى أن هذه الظاهرة مركزة فى المعـامل ؟ اذن فالهدف هو المعلومات العلمية على وجه التحديد ؟

ـ هذا ما يبدو فى الوقت الحاضر على الاقل ٠

وكانت جين جالسـة فى سكون واجمة ٠ وكأنى بهـا كانت تحاول أن ينطبع هذا الحديث فى ذاكرتها ٠ وسمعتها تعود من تاملاتها لتشاركنا حديثنا قائلة :

ـ انك تقول فى الوقت الحاضر على الاقل ، فهل يعنى هذا أن هذه الظاهرة سيستشرى أمرها ٠ وكيف ؟

ـ انها فى ازدياد طبعا ، وانها لتزداد بصورة تقض مضجع كل معنى بالامر وتثير قلقه ٠ هل يكفيك هذا ؟

وكان السؤال بمثابة الاجابة المفحمة ٠ ولكن جين عادت لتسـاله بدورها :

ـ متى بدات تشك فى أن هناك أكثر من منفذ لهذه الظاهرة ؟ انها عملية متشابكة الخيوط متعددة الجنبات ، انها ظاهرة مركبة ٠

ـ مركبة ؟ انها مركبة ومركبة ٠ انها شبكة عريضة متعددة الخيوط ٠٠ ان أذرعتها لتمتد كالاخطبوط ٠

ونهض دولوبوفسكى يعيد ملأ الكؤوس وتوزيع قطع الثلج ، وقدم سكيب سيجارة لجين ، وأشعل لنفسه أخرى وهو يقول :

ـ الثغرات الاولى ٠ اجل ، خيوط الشك الاولى ٠

وعاد دولوبوفسكى الى مقعده ٠ ولاحظت مما تبادله من نظرات مع سكيب ان له شأنا كبيرا ٠ وفهمت انهما يريدان أن يستمعا لما لدينا من معلومات أكثر مما يدليان به الينا ٠ وقد يكون لهما عذرهما فى ذلك ، لأننا لم نخبر الامريكيين بأننا نعانى من هذه المشكلة من قبل ٠ وكان المتحدث فى هذه المرة هو دولوبوفسكى :

ـ لن يكون من اليسير تبيان ذلك مع هذه المؤتمرات الدولية التي يتوالى عقدها • ان للعلماء لغة واحدة متعارف عليها • كما أن الاكتشافات العلمية تتقارب وتكاد أن تسير جنبا الى جنب • وأعتقد أن فترة ثمانية اشهر كافية لتغطية سؤالك عن الثغرات الاولى التى اتصلت حلقاتها • ومن الجائز أن نعود ببدايتها متفرقة الى ما قبل ذلك ، ولكنها الآنأصبحت تشمل البرنامج العلمى كله ـ حتى غير العسكرى منه •

واستطرد بنا الحديث الى بعض ما يواجهنا فى المملكة المتحـــدة ، حتى نسمع منهما المزيد • وبعد أن شعرنا بأنه ليس هنالك من مزيد ، نهضنا مستأذنين فى الانصراف • وودعنا سكيب الى الخارج ، حيثواصلنا سيرنا ـ جين وانا ـ فوق الرمال التى بدت حمراء تحت اشـعة الشمس الغاربة ، والتى تركت جزيرتنا فى طريقها الى الهند •

وسرنا يدا فى يد لننعم بنسيم هذه الساعة من النهار على رمال الشاطىء حوالى النصف ميل • وكانت وجهتنا نادى الضباط حيث يمكن أن نقضى بعض الوقت فى استرخاء ، نستريح خلاله من عناء اليومووجهد الانتقال •

وجلسنا الى المائدة التى أعدها الغـــلام الساقى لنـا فى ركن من النادى ، وقد انعكس ضوء الشمعة الراقص على وجه جين ، فأضفى عليه جمال الغموض الذى يناسب شعرها الاسود وعينيها الجميلتين • وسمعتها تقول لى :

ـ يلوح لى أنه كان لك سابق معرفة بسكيب •

أجل • اننا أصدقاء قدامى •

ـ لقد أعجبت به • ولكنه بدا لى متحفظا وكأنه ••••

ـ هيا افصحى عما يجول بخاطرك ، وكأنه ماذا ؟

ـ اننى فعلا لا اعرف كيف أعبر عما يدور بخلدى •

ـ أم لعلك فى حرج من هذا ؟ اننا نستطيع أن نتبادل الراى فيما يستجد من امور ، لنستفيد بذلك ؛

وراينا يدا تمتد لترفع الشمعة ، ورفعنا اعيننا لنرى دالبى واقفا يشعل سيجارته منها • وكان يرتدى قميصا من قمصان هاواى الحمراء وسروالا قصيرا • مما جعله يبدو كان أمريكى من الموجودين معنا في هذه الجزيرة • فقلت له :

ـ لقد تأقلمت فاجدت وأصبحت أمريكيا من مواطنى جزر هاواي ،

وجال بعينيه باحثا عن مقعد وهو يقول لنا :

ـ أرجو ألا أكون متطفلا عليكما ؟

ولم ينتظر منا الاذن بالجلوس • ووضع مقعده بجوار جين • ولما استقر به المقام قلت له :

ـ كانت جين بسبيل أن تدلى الى برأيها عن سكيب هندرسون •

ـ اننى أتوق الى الاستماع لرأيها هذا •

فانبرت جين قائلة :

ـ لقد خيل لى أنه يخشى شيئا ما •

فقلت لها :

ـ يخشى شيئا ما ؟ هل تعنين أنه كان خائفا منى ؟

ولكم وددت ألا تواصل جين حديثها هذا • لأننى كنت لا احب ان اطرق مثل هذه الاحاديث فى وجود دالبى • وتمنيت لو خاضت جين فى حديث غيره • انها لا تعرف شيئا عن سكيب هندرسون ، الذىحارب فى كوريا وعاد الى واشنطون مثخنا بالجراح • فمم يخاف أمثال هذا الرجل ؟ هذا الرجل الجرىء المقدام الذى كان من بين سائر ضباط المخابرات المركزية ، الوحيد الذى يحتفظ بمراسلة زنجى معه ـ بارنى بارنز • انها لا تعرف شيئا عن حقيقة أمر هذا الرجل • سكيب الوديع المبتسم • وأجابت جين ، بعد أن تركتنى مع خيالاتى برهة :

ـ كلا • لست أعنى شيئا من هذا القبيل • ولست أعنى أنه يخاف أحدا • كلا • ولكننى رأيته يتأملك وكأنه يريد أن يجنبك أمرا او ينتشلك من وهدة قبل أن تتردى فيها •

ـ هل تعنين أن لهذا علاقة بالضابط المرافق له ؟ بمعنى أنه ليست له اليد العليا فيما يقول ويفعل ٠

وانبرى دالبى قائلا ، دون أن يرفع عينيه عن قائمة الطعام :

ـ أعتقد أنه ليس عليك أن تتمادى فى نظريتك هذه عن هندرسون٠ ان للرجل تاريخا حافلا ببعض الحماقات ٠ وهـذا هو مصدر القلق عليه٠ وفى رأيى أن هذا المرافق لسكيب هندرسون كان بناء على اقتراحه هو ٠ انهم لا يريدون أن تتسع الدائرة ويذاع الامر ، وأن يكون لصداقتكما تأثير فى ذلك ٠

ـ كان من اليسير على سكيب أن يقفل باب المناقشة ، وأن يضـع حدا لأسئلتى باجابته نفيا على كل سؤال منى ٠

ـ هذا صحيح ٠ وما أظنه لو كان قد أوتى هذه المقدرة ، الا كان الآن فى رتبة الليفتنانت جنرال ٠

وحاولت أن أتبين من ملامح وجه دالبى ومن نظراته ما يعيننى على الاحاطة بكل ما يعنيه مما يقال ومما لا يقال ، ولكنه كان متشاغلا عنى بقائمة الطعام وبدعوة الساقى ، الذى أقبل ليتلقى منا ما نأمره باحضاره لنـا ٠

وكان النادى قد ازدحم بالمترددين عليه ، ودارت الموسيقى ، ونشط الراقصون ، وتصاعدت الضحكات ، ووجد الساقى صعوبة فى اختـراق هذه الصفوف ، ليصـــل الينا بكئوس المارتينى ســـالمة من كل سوء ٠ وكان دالبى قد استدار فى مقعده وراح يراقب القاعة بعين الباحث المدقق، حريصا على ألا يحس منه أحد هذا الاهتمام ٠

وجلست أحتسى كأسى فى هدوء ، متتبعا حركات الراقصين ٠ ووقع نظرى على بارنى بارنز بين الراقصين ٠ فعجبت من أن سكيب قد ألفى فى روعى أن بارنى قد تخلف فى الولايات المتحدة ولم يحضر معـــه ، مع أن هذه الجزيرة الصـــغيرة ليست بالمكان الذى لا يمكن أن يلتقى الناس فيه ، وعندئذ توقفت الموسيقى وانفض عقد الراقصين ، وعاد بارنى بارنز ورفيقته فى الرقص الى مائدتهما ٠

ـ انّ هذا هو بارنى بارنز ، مرافق سكيب هندرسونْ ، انه من يجب ان اقابله ٠

ورفعت الى جين حاجبين مستفسرين ٠ وسمعت دالبى يقول دون ان يلتفت الى ناحيته : أهو الضابط الجالس بجوار النافذة ؟

وأردفت جين قائلة :

ـ لم أكن أظن أنه زنجى ٠ اهو هذا الجالس مع تلك الشقراء ؟

ـ أو تعرفينها ؟

ـ كانت ملحقة بسفارة طوكيو فى العام الماضى ، وكانت تؤم كل الحفلات ٠ وسمعت أنها كانت على وشك الزواج من شخص ما ٠

ـ هل آتيك بقدح من اللبن ؟

ـ بل ان ما أقوله هو الحق ، وعليك أن تخبر بذلك صديقكبارنى بارنز اذا كان أمره يعنيك ٠

ـ جينى ، ان بارنى كان فى غنى عنى طوال حيـــاته ، فلنـدعه وشأنه ٠

وأخيرا سمعنا صوت دالبى الذى انسانا صمته وجوده معنا قائلا :

ـ لقد تأخر الساقى فى احضار الطعام ٠

ـ وأخيرا تسمعنا صوتك ٠

ـ انه يحضر العشاء للجميع ، ويتركنا مع هذا المارتينى اللعين ٠

وانبرت جين قائلة :

ـ وفيم العجلة ؟ انه لخير لنا ان نقضى اطول فترة ممكنة فى هـذا المكان ، فى انتظار العشاء وفى تناوله ، وحتى فى مراجعة الحساب مع الساقى ٠

وحاولت أن أنهض لأقضى بعض الوقت مع بارنى ريثما يعد عشاؤنا، ولكن دالبى رفض معلنا توقف الحياة حتى نتناول عشـــاءنا ٠ وكأنى به كان يريد منى ان اتوجه الى المطبخ وأشرف على اعداد طعامنا واتعجـــل الساقى لاحضاره ٠

ولم ار بدا من أن أنهض على غرة منهما قائلا : سأعود بعد دقيقة • واندفعت اشق طريقى بين الحاضرين • ولم أحاول ان ألتفت الى الوراء، وكنت اتخيل جين وهى تحاول أن تهدىء من ثائرته ، بطريقة او باخرى •

ووقع نظر بارنى على وانا مقبل عليه ، فابتسم وراح يسر بشىء الى رفيقته الشقراء • وقد تبادر الى ذهنى أنه يهمس فى اذنها قائلا : « اذا ما استدعى الامر فلتقولى انك مساعدتى واننا تأخرنا فى عملنا واننا نقوم بانجاز ما تبقى منه هنا » •

وكنت أحب بارنى وأنزله من قلبى مكانا عزيزا • وكانت رفيقته قد مالت على المائدة تصلح من شأنها • وحيانى بارنى بابتسامة عريضة عبرت عن سروره بلقائى • ونهض عن مقعده ، ودار حول المائدة وهو يقول لى :

ـ لقد التقيت بصديق قديم من كندا • واستعدنا كثيرا من ذكرياتنا بتورنتو • وذكرنى بأغنيتك المفضلة فى كنج ستريت •

ـ لعله نات ؟

ـ هو بالذات • نات جودريتش •• اننى أذكر شيئا عن هذه الاغنية • انها تبدأ : « فلتكن أول من يرتقى الجبل ، وليكن تسلقك له بمفردك » أليس كذلك ؟ وهل تعمل بها ؟

ـ اجل ، أجل ، بكل تأكيد •

واستغرق بارنى فى الضحك قائلا : « ربما أعدنا ليلة من هذه الليالى • لكم شربنا ولهونا • سأحاول الاتصال بك فى مدى يوم أو بعض اليوم • اما الآن فأنا مضطر للانصراف •

وكانت رفيقته الشقراء واقفة تنتظر فى قلق وقد نفد صبرها • ولم تكن هذه الذكريات صحيحة فى كثير او قليل • ولم يسبق لى ان شربت حتى الثمالة ورفعت عقيرتى بالغناء • ولم يسبق لى ان التقيت

ببارثى فى تورنتو • ولم يسبق لى أن عرفت رجلا باسم نات ، وماظن بارنى كان يعرف أحدا باسم جودريتش •

- ١٩ -

كنا نحس بحرارة الرمال الساخنة تخترق أحذيتنا من شدة ما تعرضت له من أشعة الشمس الحارقة • وكنا واقفين نتامل تلك الاسلاك وهذه الانابيب المتشابكة المتعارضة كالافاعى الصينية ، أسفل قاعدة برج الانطلاق • ورحت أتنقل بعينى بين رجال الامن وكلاب الالزاس، غير متمالك نفسى من الاعجاب بكل هذه الاحتياطات والاجراءات الوقائية التى لم تغفل شيئا • كما شاهدت عن بعد حوالى النصف ميل رجال التصوير يثبتون آلاتهم الاوتوماتيكية ، لتصوير كل صغيرة وكبيرة تجرى من بداية العملية لآخرها • وهبط من أعلى البرج مصعد صغير لا يسع أكثر من ثلاثة رجال • وتركت حقيبتى مع دليلى صاعدا كالصاروخ الى أبعد من مائتى قدم • ولما توقف المصعد بى ، وقفت فى أعلى البرج أتطلع الى ماحولى جنوبا وشمالا وشرقا وغربا، لأرى الجزيرة بكل مافيها وبخلجانها وبرمالها ، تحيط بتلك الاجهزة والمعدات التى تشهد بجبروت العقل البشرى• وكنت من مكانى أشرف ، فىالوقت نفسه ، على ماينفق فى سبيل انقسام البشرية على نفسها ، وما يعد استجابة لهذه الروح العدائية التى تنذر بالانفجار ، ووقفت أسرح الطرف فى كل هذه الآلاف المؤلفة من ملايين الجنيهات ، تنفق فى سبيل ذلك ، وهناك من البشر فى جهات أخرى من العالم من يبحث عن حفنة من الارز •

وفى دورة على الشرفة العليا ، وجدت نفسى وجها لوجه أمام بارنى •• وكان يرتدى حلة عسكرية بيضاء عليها علامات التجربة العلمية ، وعلى ذراعه شارات الرقيب الاول (الباشجاويش) ، وفى يده مسدس

عيار ٣٢ر٠ ، وتصادف أننى رأيت فوهة المسدس موجهة الى ناحيتي ، فقلت له :

ـ هلا نحيت هذا عنى ٠

ـ من الافضل أن يلتزم المرء جانب الحذر ،

ـ والآن هات ما عندك ٠

ـ فلتبدأ انت لأتبين حقيقة أمرك ٠ حقيقة اننا تعارفنا من قبل، ولكن الناس يتغيرون ٠ هل تغيرت عن عهدى بك ؟

ـ ربما ٠ ربما أكون قد تغيرت ٠

وران علينا صمت مطبق طال أمده ٠ وفى الحق أننى لم أستطع ان أدرك ما كان بارني يرمى اليه من حديثه هذا ٠ وحاولت أن أقلب الامر على كل وجه ، لعلنى أن أتبين شيئا من ثنايا سلوكه وأقواله ٠ ووجدتنى أكشف عما بجول بخاطرى قائلا :

ـ انك تستيقظ فى يوم من الايام لتجد أصدقاء العمر وقد تبدلت أحوالهم ٠ وتصحو لتجدهم وقد صاروا الى هذا الطراز من البشر الذى كنت تحتقره وتنظر اليه شذرا ٠ ثم تتحقق بعد ذلك من انك بدأت تقلق من أجل نفسك اشفاقا عليها من هذا المصير ٠

ـ أجل ٠ هو ذاك ٠ وانهم لم يعد يعنيهم من أمر هذا التحول الذى هز كيانهم شيء ٠

ـ بل ان هذا ليعنيني فعلا ٠

ـ ذلك لأنك لا تعرف متى تتعرض لما تعرضوا له ٠

ـ قد يكون هذا صحيحا ٠ ولكننى لا أغرر بالناس لأزج بهم فى أحرج مأزق لأثبت ذلك ٠

ولكنه لم يبتسم ٠ لقد قلت هذا على سبيل المزاح ٠ أم لعل ذلك لم يكن مزاحا فى تقديره ٠ وسمعته يقول لى :

ـ وهكذا تغيرت ، وهكذا فقدت صوابى ٠ استمع الى أيها الرجل الابيض ، أو تعرف شيئا عن أغلى سلعة فى هذه الجزيرة ؟

ـ الست اقف على قمتها ؟

ـ كلا • اللهم الا اذا كنت واقفا عليها راسا على عقب • ان اغلى سلعة هى انت • اجل انت • ان الاضواء مسلطة عليك • يقـــول « الاصدقاء » عنك انك ضللت الطريق او حدث عنه قليلا • هـل هذا صحيح ؟ صارحنى بكل شىء •

ـ أصارحك بماذا ؟ اذن فهذا هو السبب فى ان الاصـــدقاء قد دفعوا بى الى القيام برحلة حول العالم ليلقوا بى بين يديك اعلى قاعدة تفجير القنبلة الذرية • الا انه قبل ان يحدث شىء من هذا القبيل ، دعنى اصارحك بما سألتنى اياه • هل انت مجنون ؟

انا مجنون ؟ أم انت المجنون ؟ ان احدنا يجب ان يكون كـــذلك ، وان كانت الفرصة سانحة لنثبت لهم اننا اكمل عقلا واطول باعا من اى منهم •

وكان وجهه قريبا من وجهى • وسكت عن الكلام ، ووقفت احدق فى وجهه ، وران علينا صمت مطبق ، خيل الى اثناءه ان الزمن قد توقف بضع دقائق عن الحركة • ثم سمعته يقول لى فى صوت متهدج :

ـ ان مصيرى الموت اذا ما رآنى احـــد وانا اتحدث اليك • الم يتبادر الى ذهنك السبب فى مرافقة هذا الضابط لسكيب كظله ، وفى مرافقة هـــذه الشقراء لى ؟ ان مجرد اقترابى منك يقتـــرب بك من المشرحة •

ـ هكذا ؟! اذن فما عليك الا أن تعجـــل بالاحتفـاظ بحقك فى الاشتراك بجنازتى •

ـ لست أدرى ماذا أنا قائل لك • ان امرك لشد ما يقلقنى •

ـ شكرا •

ووقف كل منا يحملق فى وجه الآخر • واسرع بارنى بعد برهة الى المصعد يعالجه حتى لا يمكن التحكم فيه من اسفل • وعاد يقول بكل هدوء : اننى الوحيد الذى امكنه ان يتصل بك • والوحيـــد الذى

لم يصدق شيئا مما يقال ·وبالذات اذا ما شعر بخيوط العمل تتجمع ضد رجل قد لا يعرف شيئا عما يدور خلف ظهره · ولقد رايت ان اعطيك فكرة عما يحاك ضدك قبل فوات الاوان ، وقبل ان يتبين المرجفون خطاهم فى وقت لا يمكن فيه اصلاح نتائج هذا الخطأ ·

واسقط فى يدى ولم احر جوابا · ولم ادر هل اشكره ام هل اعتذر اليه · وقد اخرجنى من حيرتى وكأنه كان يقرا افكارى قائلا :

ـ لا تحاول أن تشكرنى · ان سكيب لم يتح له الفرصة التى اتيحت لى · انه هو الذى يستحق أن تشكره ·

واردف قوله بابتسامة ، وتحرك وكأنه فرغ مما كان يود الافضاء به الى · ولكننى استوقفته قائلا :

ـ مهلا · دعنى اضع النقط فوق الحروف ·

ـ ليس هناك متسع من الوقت · وما عليك الا أن تنسى اننـــا التقينا ، على الا تنسى ما بصرتك به ، وما يجب ان تضعه نصب عينيك ·· اننا لا يجب أن نرى معا ·

ـ اعطنى مسدسك ·

ـ وماذا انت فاعل به · انك لن تســـتطيع ان تشــق طريقك بواسطته · ما عليك الا أن تتلمس لك طريقا تنجو فيه بجلدك · هيا انطلق بطائرة تخرجك من هنا ·

والقى الى بالمسدس وبشريط من المعدن اللصاق استعنت به على تثبيت المسدس بساقى اليمنى تحت السروال · واسرعت الى المصعد ، وسمعته يقول لى قبل ان يوصد بابه :

ـ وحذار ان تذهب باكيا الى رئيسك الجديد ·

ـ وهل دالبى هو الآخر مقتنع بما يقال عنى ؟

واستعرضت كل ما كان يصدر عن دالبى من كلمات وتصرفات فى الايام القليلة الماضية ، وحاولت ان اربط بين كل ما كان وما سمعته الآن · ووجدتنى مشوش الفكر ، فى دائرة خبيثة من الحـــيرة وشرود الذهن ·

وأسرع المصعد بى هابطا . والفيت دليـــلى فى التظارى وسلمنى حقيبتى . فحملتها عنه وعدنا أدراجنا الى باب الخـــروج . ووجدت سيارة نقل تقف بها ، وسائقها يتركها ليخلى مقعده لشرطى يقودها الى البرج . وأطلع القائمون على حراسة الباب على بطاقتينا ، ولم يبد أن أحدا منهم كان يعرف أن أغلى سلعة بالجزيرة كانت تخرج من الباب المعهود اليهم بحراسته .

وفى طريقنا بالسيارة الى نادى الضباط ، رحت أستعرض كل ما كان من جين فى الليلة السابقة . اهتمامها ببارنى وتعليقاتها عـلى سكيب وموقفه منى . تصرفاتهـــا مع دالبى ومدى تفاهمهمـا على كل ما يتصل بشأنى .

وما أن احتوانى نادى الضباط ، ووصلت الى أنفى رائحة الدجاج المشوى ، واستقر بى المقام الى المائدة الموضوع عليها اناء الماء المثلج . حتى شعرت بالهدوء والراحة . فى هذا الجو المكيف .

- ٢٠ -

كان نادى الضباط مشيدا بالصـــورة التى تتفق وكل شىء فى جزيرة توكوى وكان مقاما من طابق واحد . وغادرت قاعة الطعـام الى غرفة الجلوس حيث رأيت جين جالسه بجوار النافذه بين جماعة من الطيارين ، تبينت من شاراتهم أنهم من كبار الضباط ممارسة ودربة بالرغم من صغر سنهم ، لأنهم كانوا يرقون الى رتب اعلى كلما قاموا بعمل مجيد ، كاتقان اصابة الهـدف وقوة التحكم وحسن التركيز . ومثل هؤلاء الضبـــاط ، هم الذين كانوا يخترقون المجال الجوى السوفيتى فى كل مرة يتوقع المسئولون حدوث تفجير ذرى او يتوجسون خيفة من هجوم مفاجىء . وسيقوم هؤلاء الضباط بملاحظة آثار هذا

التفجير من الجو ليقارنوا بين الحالتين • وما أظن جين بقادرة على ان تنتزع من هؤلاء الضباط سرا ، وما أظن أن هناك أية فرصة أمامها لتنال ما تبغى • ومع ذلك ، فقـــد رأيت أن أجلس بعيدا عنهـا ، وتشاغلت بمراجعة بعض الأوراق التى كانت أليس قد أودعتها حقيبة أوراقى • وكنت أختلس النظر من وقت لآخر ناحيـــة جين ، فأراها مستمعة لما يدور بين الضباط من حديث ، لا تشترك معهم الا اليسير وبقدر ما تدعو اليه الحاجة الى توجيه الحديث •

وكان بوسعى أن أسمع مايدور بينهم من حديث . فانصـت لأسمع أحدهم قائلا :

ـ أجل يا سيدى • ان نيوبورك هى المدينة بحق • اننى لا أعترف بغيرها مدينة .

فيعقب آخر :

ـاننى أحب نيويورك ، ولكن ، نيو أورليانز هى المدينةبحق ! يالها من مدينة !

ويتدخل ثالث ورابع ويدور الحديث على الوجه التالى :

ـلعلك لم تزر باريس ، فرنسا .

ـلقد أقمت بها ستة أشهر . انها آخر بلد فى العالم مازالت تعترف المرأة فيه بسيادة الرجل •

والهند ، وأفغانستان التى يساوى الجمل أكثر مما تســـاويه المرأة • لقد رأيت ذلك بعينى رأسى ، حين التقيت برجل يمتطى ظهر جمله وامرأته تتقدمه سيرا على قدميها • فلما سألته لماذا لا تشاركه زوجته فى الركوب ، قال لى ان فى طريقهم حقول ألغام ، وأنها يجب ان تتقدمه ، لان الجمل يساوى كثيرا ، وهو عنده أكثر نفعا من زوجته •

وعلى هذا النمط دار الحديث بينهم • فرندا يتحمس لتكســاس وذاك لألاسكا • وهـــذا يفاضل بين ألمانيا وفتيـــاتها وبين اسكندناوه وحاناتها • وأخيرا انفض مجلسهم ، وقام كل منهم الى وجهته ، حتى

خلت منهم غرفة الجلوس . وأقبلت جين تقف خلف مقعدى وتلمس رأسى بيدها . ثم دارت لتواجهنى وتتخذ لها مقعدا أمامى . وبعد أن تبادلنا ابتسامات اللقاء ، تساءلت فيما بينى وبين نفسى ، ما اذا كانت جين هذه بالنسبة لى كدولو بوفسكى بالنسبة لسكيب • وبيت النية على تقييم كل ما عساها ان تقوله لى ، لأننى لاحظت أنها متلهفة على أن تحكى لى عمن كانوا يجالسونها • وفعلا بدأت تسرد على مسامعى تفصيل عملهم ، بعد أن أشعلت سيجارة راحت تدخنها فى هدوء ، متأملة حلقات دخانها ، حتى لا تلتقى نظراتنا كثيرا •

وبعد أن انتهت من حديثها عن هؤلاء الضباط وبعض ما قاموا به ، سكتت عن الكلام متخذة وضع من تترقب اطراء هندامها وجمالها • وفى الحق أن شمس الجزيرة وحرارة طقسها قد اكسباها سمرة ضاعفت من جمالها • وبعد أن فرغت من تدخين سيجارتها ، راحت تتأمل أظافر يديها ، وقالت لى دون أن ترفع عينيها عنها ، « هل ذهبت الى جيلد فورد ؟ » •

فأومأت ايجابا • واستطردت قائلة :

ـ فى الاسبوع الاول ، عندما يكون التدريب كله عمليا وبدنيا ، وتجلس معظم وقتك فى انتظار برنامج الاسبوع الثانى ، يلقون عليك محاضرة فى بناء الخلايا وما الى ذلك •

وكنت أعرف أنها تعرف بدورها أنه لا يوجد مبرر لمثل هذا الحديث• ولم أحاول أن اقاطعها • وتركتها تواصل حديثها قائلة :

ـ « ان أليس هى حلقة الاتصال الرسمية بينى وبينك • وفيما يتعلق بى ••• » ثم توقفت قليلا قبل أن تستأنف قولها : « ومنذ اتصالى بها لم ألجأ الى وسيلة اتصال اخرى » •

ولم أعقب بشىء • وظللت فى مقعدى ساكنا لا اتكلم • فقالت :

ـ ان عملى اصبح أكثر تعقيدا مما كان عليه فى ماكاو • واشمل اختصاصا مما كنت اتوقع • ولم اتصور اننى سأقوم بشىء من هـذا

القبيل » • وأومأت برأسها ناحية المكان الذى كانت تجلس فيه مع الضباط بجوار النافذة • « ولكننى سأواصل القيام بما أكلف به عن طيب خاطر • غير انه يجب أن يكون لذلك حدود • اننى امرأة ، وطاقاتى محدودة »•

ـ «قد تكونين مخطئة فيما تظنين » • وفى الحق أننى قلت ذلك وانا لا أعنى به غير كسب الوقت أكثر من أى شىء آخر •

ـ لست من هذا الرأى ، وسأدلل لك على صدق زعمى ، اذا كان لديك متسع من الوقت • ساعة أو بعض الساعة •

وتبعتها الى الخارج ، ثم الى حيث تقف السيارات • واحتلت مقعد قيادة سيارة فورد • والى حاجب الشمس بجوار مقعد السائق ، كان مثبتا جهاز ارسال صغير فى حجم صندوق سجائر سعة عشرين سيجارة • ويمكن لهذا الجهاز أن ينقل الصوت الى مسافة ثلاثة أميال • وهو جهاز يفرض على كل سيارة فى جزيرة توكوى أن تزود به • ونزعت الجهاز من موضعه، ووضعته داخل صندوق من أوراق « الكلينيكس » فى المقعد الخلفى لسيارة شفروليه كانت بجوارنا • وصعدت الى جانب جين التى انطلقت بالسيارة الفورد •

وكانت جين متحكمة فى عجلة القيادة ، منطلقة بالسيارة فى اقصى سرعة ، واثقة من حسن تقديرها للمنحنيات عند الاقتضاء • وبعد مسيرة بضعة أميال ، وبدلا من أن تعرج بالسيارة الى اليسار ، فى الطريق الى داخل الجزيرة ، عرجت الى اليمين ، فى طريق وعر استغرقنا فى المرور به حوالى الساعة ، الى أن توقفت بنا جين حيث تريد ، فى جانب من الجزيرة كثير الصخور البركانية ، والنباتات النامية على منحدراتها ، بعيدا عن مركز الادارة ونادى الضباط •

وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب ، لتصعد مشرقة فى جانب آخر من العالم • والتقطت جين شعلة كهربية من السيارة ، وواصلنا طريقنا سيرا على الأقدام •

ولأول مرة منذ انطلاقنا ومغـــادرتنا للنادى ، لم أتمالك نفسى من سؤالها قائلا :

ـ أليس من حقى الآن أن أعرف شيئا عما نحن مقبلون عليه ؟

ولم تسرع بالاجابة • وخيل الى أنها حائرة فيما يجب أن تصارحنى به شفاها ، وكان الأمر مستغلق الفهم عليها •

ـ لقد كنت هنا فى الليلة الماضية مع دالبى • وقد اصطحبنى حتى نبدو فى جولة غرامية أو ما شابه ذلك ولا يكون موضع شك فى حالة ما اذا كان بمفرده • وقد تركنى فى السيارة • ولم أستكمل معه الجولة• وانى لأريد أن أرى الليلة ما لم أره بالأمس •

وعاونتها فى تخطى حاجز من الأسلاك الشائكة • وأوغلنا فى السير بعيدا عن الطريق ، حتى اختفت السيارة عن أعيننا • ووجدنا علىالشاطىء كثيرا من مخلفات الحرب العالمية الثانية • وبدا لى من الحالة التى رأيت عليها الدبابات والمصفحات وغيرها ، أنه كان لطبيعة الارض الدفاعية اثر فيما لحق الغزاة من خسائر فادحة جسيمة • وكأنى باليابانيين قد فطنوا الى ذلك واستغلوه أيما استغلال • وتقدمتنى جين حيث لحقت بها واقفة بباب الحصن الصغير المقام من الحجارة والاخشاب والمدعم بكمرات من الحديد بارتفاع قدره ٢٥ قدما • وقد ظهرت على جدران الحصن آثار يد الطبيعة من حرارةٍ ورياح ، ونمت به النباتات والأزهار البرية حيث كانت بمنجاة من عبث الانسان بها ، بعد أن ترك الحصن واستغنى عنه • وكان المدخل منخفض الارتفاع ، لا يمكن للداخل أن يتخطاه الا منحنيا • والى جانب آثار قدمى جين على الرمال ، وجدت آثارا أخرى عرفت أنها لدالبى، وكانت أكثر انطباعا مما يجب أن تكون • الامر الذى رجحت معه أن دالبى كان يحمل شيئا •

ـ هل كان حمله ثقيلا ؟

ـ الصندوق الذى كان يحمله ! أجل ، كان يبدو كذلك • ولكن ، كيف عرفت هذا ؟

ـ لقد استنتجت ذلك • ويلوح لي انه كان منهمكا حتى انه لم يشعر بتعقبك له •

وتنحت جانبا لتفسح لى طريق المدخل قائلة :

ـ لقد كلفنى بالتخلف فى السيارة ، ولكن فضولى تغلب على فاقتفيت اثره •

ودخلنا الى الحصن • وتحققنا من أن هذه الجزيرة كان لها شأنها الحربى فى الصراع الماضى • ومن المدخل اجتزنا ممرا ضيقا الى حجـرة صغيرة مظلمة تبلغ مساحتها حوالى ١٢ قدما مربعا • ووقفنا وقد خيم على الحجرة السكون •

ولمـا اعتادت عيناى الظلام ، رأيت بالحجرة صناديق معدنية عليهـا أرقام وبعض كلمات « المصنع » • كما شاهدت فى ركن آخر منها صناديق خشبية محطمة وبعد صناديق للذخيرة • كما شاهدت ايضا فتحات بعرض الحصن للمدافع وغيرها من وسائل القتـــال • وكانت جين منصرفة الى تسليط ضوء شعلتها على الجدران ، وبالذات القريب من باب الدخول ، حيث رأت شعلة دالبى بالأمس تتحرك فى هذا المكان • وبدأت أنقل بعض الصناديق لأجعل منها مرتفعا يمكننى أن اصعد عليه لأدقق النظـــر فيما نبحث عنه •

وعلى ضوء الشـــعلة التي ناولتنى اياها جين ، بدات أبحث بين المخلفات الموضـــوعة على الرف الحجرى الذى كان معدا للجنود للتحكم منه في الفتحات المثبتة أمامها المدافع والبنادق بعيدة المدى. وعثرت في الناحية اليسرى من هذا الرف على صندوق خشبى لم أجد بداخله شيئا ، كان موضـوعا فوق صـــندوق آخر من الكرتون عليه هذه الكلمات ، « أطعمة • كرانبرى مجمـد » • وتحت هـــذه الكلمات كان مطبوعا بعض الارقام المسلسلة ، وشهادات بنقاء المحتويات ونظافتها . ووجدت بداخل الصندوق أنبوبة للأشعة السالبة طولها حوالى سبع بوصات ، وما يقرب من الاثنى عشر ترانزستور ، ومظروف أبيض ، ومسدس سريع الطلقات . ولم يوجد بالصندوق ما كتب

عليه من الخارج ـ أطعمة وكرانبرى مجمد . وقمت بفض المظروف لأجد به قصاصة من الورق فى حوالى الست بوصات طولا واثنين عرضا ، مسطرا عليها حوالى الخمسين كلمة لم أفهم شيئا من مصطلحاتها . وناولتها جين لتقرأ ما بها ، فرفعت عينيها الى متسائلة « هل تعرف الروسية ؟ » فأجبتها بالنفى . ثم سمعتها تعقب قائلة :

ـ ان هذه الكتابة هى عن ..

فقاطعتها قائلا :

ـ فليكن . فليكن . قد تكون ، فيما يبدو ، مصطلحات عن قنبلة النيوترون .

ـ وماذا انت فاعل بهذه الورقة ؟

فأخذت المحرر منها وأعدته الى صندوق الأطعمة المزعوم . أما المظروف ، فأحرقته حتى صار رمادا . ثم قلت لها ، «هيا بنا ».

ومشينا على حذر على المنحدر المتجه الى الشاطىء . وكان قرص الشمس فى طريقه الى الاختفاء عند ملتقى السماء بالماء . وكنت أستحث الخطى وكأننى أريد بذلك أن أبتعد عن شيء ما . وسمعت جين تقول لى لما وصلنا من سيرنا الى محاذاة الشاطىء :

ـ لماذا يحمل بعضهم هذه الأنبوبة من الاشعة السالبة الى هذا المكان ؟

وكأنى بها لم ترغب فى أن تقول دالبى بدلا من « بعضهم » .

ـ قد يكون من الأفضل أن تصاريحينى بما قاله لك عنى . فانك ان فعلت هذا ، يسرت لى ولك اماطة اللثام عن الكثير مما تتساءلين عنه ، وجلوت لك بعض ما يكتنفنا من غموض .

ـ ان الأمر هين يسير ـ لقد قال لى أن بعضهم أو بمعنى أصح بعض رجال المخابرات ، واثق من أنك تعمل لحساب جهاز الجاسوسية السوفيتى (لجنة أمن الدولة) . وقد نقلوا ذلك ،

لأنهم كانوا مهيأين لتصديق هذا عنك ، بعد قتلك لرجلين من رجال بحريتهم منذ حين .

ـ وما هو موقف دالبى من كل ذلك .

ـ انه جد مبتئس . وقد كان لتغيبه أثر كبير فى استفحال أمر هذه الاشاعة . هل قتلت الرجلين فعلا ؟

ـ أجل . لقد قتلتهما ، وأصبح العدد بذلك ثلاثة . وهـذا بخلاف ضحاياى في الحرب ...

ـ لا تسترسل . ليس بك حاجة لأن تخبرنى بهذا .

ـ لم يكن ذلك عن عمد منى . تلك هى الحقيقـة . ولم يكن بوسع أحد أن يفعل غير ذلك . انه خطأ غير مقصود . ماذا كانوا يريدون منى أن أفعل .. أن أكتب لجاكى كنيدى أعتذر اليه ؟

ـ يبـدو أنه كان من رأيه التريث حتى يتبينـوا ما اذا كنت اتصلت بأحد قبل أن تفعل شيئا من هذا الذى ينسب اليك . وكان يتساءل عما اذا كان كارسويل كان يعمل معك عندئذ . لقد بعث برسالة بالشـفرة عن طريق الراديو لتنحية كارسـويل وموراى عن عملهما بالادارة .

ـ انه أمر متأخر . لقد ألحا على فى الاذن لهما بالتغيب قبـل سفرنا .

ـ لعل فى هذا ما يقنع دالبى .

ـ بأن كارسويل هو حلقة الاتصال ، ربما .. ولماذا لا يشك فى أن تكونى أنت وسيلة الاتصال ؟

ـ لاننى لست كذلك .

ـ لو كان ما يقال عنى صحيحا ، وأننى أعمل لحساب جهاز الجاسوسية السوفيتى ، لما هيأت الفرصـة لأحد بأن يشـك فى تصرفاتى ، ولالتزمت جانب الحذر والحيطة تجنبا لكل شك . لست

أنت ولا غيرك حلقة اتصال بينى وبين لجنة الأمن الروسية ، لأننى لا أعمل لحسابهم فعلا .

وابتسمت جين ابتسامة الرضا والارتياح ، قائلة :

ـ يلوح لى أننى لم أحسن الاستماع جيدا كما فعلت أنت فى جيلد فورد .

وبدأ نسيم المساء المنعش يهب علينا من البحر ، فيداعب خصلات شعرها وأهداب ثوبها ، وتأملت هذا الجمال الذى يخطو الى جانبى على حافة مياه المحيط التى احتضنت قرص الشمس الغاربة، فلعنت هذه الظروف التى ألهتنى عن التمتع بكل هذا الجمال . جمال الطبيعة وجمال البشر . وبينما كنت محلقا في سماء خيالى ، وقد كدت أن أنسى ما أنا فيه من متاعب الحياة . صحون لأجدها وقد اعترضت طريقى لتهبط بى من تأملاتى قائلة :

ـ فلنسلم بأنك لا تعمل لحساب الجاسوسية الروسية ، ولكن من يشك في أنك هذا الرجل ، يريد أن يقوم بشيء ليوقفك عند حدك. ترى ماذا هم فاعلون ؟

ـ ان أيامن كان لا يمكن أن يجرأ على مجرد التفكير في مثل هذا.

ـ انه مجرد افتراض . فماذا تكون العواقب ؟

ـ لست أدرى . ان هذا لم يطرأ على بالى من قبل ، ولم يسبق أن تعرضت له .

ـ ان الطقس يميل للبرودة . فلنعد الى السيارة .

ـ ٢١ ـ

وكانت الأيام التالية ، أياما مليئة بالحركة مشحونة بالتوتر ، لأنها كانت تقترب بنا من اليوم المحدد للتفجير . ولم يتغير الوضع بالنسبة لى ، ولم أنقطع عن حضور المؤتمرات والاجتماعات التى كان

يشترك فيها غيرى من المراقبين . ولم تتح الفرصة لجين ولى لتتبادل أكثر من كلمة أو كلمتين دون أن نقرض لأن يسمعنا أحد أو يسجل لنا حديث . وكنا قد اتفقنا على هذا التباعد تجنبا لاثارة أى شك بالنسبة لتفاهمنا عما يدور بشأنى . وكنت أراها واقفة بالدهليز ، في انتظار التوقيع على بعض مالديها من أوراق ومستندات . وكنت أتحل الأعذار لأمر بجوارها فى الدهليز ومداخل الأبواب لألتقط كلمة أو كلمتين .

وقضيت يومين فى عمـــل متصل مع دالبى ، لا أكاد أفارقه او يفارقنى . وكنت مسرورا بذلك . وكان هناك فارق كبير بين دالبى وبين غـــيره من رجال المخابرات ، لأنه كان لا يعمـــل الا بنـاء على وحى من ضميره ومن اقتناعه الذاتى ، ولأنه كان يترك لغيره من مرؤوسـيه الفنيين حرية العمل فى حـدود اختصاصهم ، دون أن يحـاول نسـبة الفضل اليه فيما ينتجون .

وكنا قد اكتشـــفنا ، أنا وجين ، الصـــندوق السرى فى الحصن فى يوم ثلاثاء . وفى يوم الخميس ، دعانا القائد العام ـ الجنرال جيربت ـ مع غيرنا من المبعوثين ، لحفل في منزله .

وكان منزل القائد مشـــيدا فى الجانب الصخرى من الجـــزيرة . ومرة أخرى قدر لنا أن نشاهد الشمس فى مغيبها . وننعم بهذا المنظر الأخاذ المتعدد الالوان في هذه الساعة الاخيرة من ساعات النهار . ودار السقاة بكئوس المارتينى المثلجة ، على الجمـــع المتباين الاجناس والسمات والاذواق . وجلس ثلاثة من موسيقى الجيش يعزفون مختلف الألحان .

وبعيدا عن الأضـــواء ، فى طرف حـــديقة منزل الجنرال ، رايت دالبى جالسا على احدى الصخور ، يتطلع الى المياه التى كانت تبعد عنه بحوالى ثلاثة أقدام . وشاهدت عن بعـد احـــدى المدمرات وقد القت مراسيها . وتبينت من الدخان المتصاعد أنها على أهبة الاستعداد للابحار . وتمكنت من قراءة حرف « ر » المنقوش على جانبيها ،

والذى يستبدل منه على انها احدى سفن قياس الأعماق وموجات الذبذبة تحت سطح الماء . وعلى « اللنش » الواقف الى جانبها ، كنت أرى رجالا من فرقة الضفادع البشرية ، يصعدون ويهبطون لاحكام وضع شبكة أجهزة القياس .

ولاحظت ان دالبى كان يحرك كاس المارتينى فى يده بدورة عصبية ، ثم سمعته يقول :

ـ ليس هناك من سبيل للاتفاق معهم .

ولم يكن بوسعى الا ان اقرن هذه الملاحظة بشخصى . ولكنه استطرد قائلا ، « ان محاولة أية مساومة معهم ، يجب أن تستبعد من كل اعتبار ، وذلك لأنه لا يوجد أى ضمان لمحافظتهم على كلمتهم . ان الحرب ستكون فرصة لهم . فرصة لنشر مبادئهم . ولا تنسى انهم سيدخلونها بأسلحة أقوى وأشد من هذه القنبلة التى نقيم الدنيا ونقعدها من أجلها . انها ستكون بمثابة لعبة أطفال بالنسبة لقنابلهم .

ثم تطلع ناحية المنزل عبر الحديقة التى غصت بالمدعوين من الرجال والنساء ، وراح يتأمل الراقصين والراقصات على أنغام التشاتشاتشا . وانبرى من بين الحشد بريجادير ، سمعت دالبى يقول له : « لقد انقلبت الجزيرة عيدا يا جيمى . وانكم ستظلون كذلك ، تواصلون تقدمكم العسكرى ، مادام نظامكم يجد من التجارة والصناعة عونا له . »

ووقفت انصت لحديثهما الذى كان مزيجا من السياسة والصناعة والتجارة ، فى تتبع واعجاب ، لأنه كان شيقا مسليا طريفا ولم ينقطع سيل هذا الحديث الا بقدوم فتاة طويلة القامة ، ليست على قدر كبير من الجمال ، لتدعو البريجادير لاصطحابها الى حلقة الرقص بداخل المنزل .

وتامله دالبى قائلا : « يا لهؤلاء الامريكيين . ان دماءهم تجرى فى عروقهم بكرات حب المال والافتنان في كسبه . انهم لا يألون في

سبيلَ هذا جهدا . حتى المشاعر الانسانية ، تجدهم ابعد ما يكونون عنها . »

ـ وهل صديقك البريجادير من هذا الطراز ؟

ـ انه طراز فريد في بابه . انني لم اصادف في حياتي كثيرا من امثاله ، ممن لهم ذهنه المتوقد وفكره الصـــائب . لقد كان من اصحاب الملايين ثلاث مرات ، وكان من المفلسين مرتين . لقد كان معدما الى شهرين من قبل ، ثم دعاه الجيش للاشتراك في اقامة هذا المشروع ! فعاد بذلك ليصبح مليونيرا لثالث مرة ! انه شخصية ممتـــازة غير عادية .. اليس كذلك ؟

ورحت اتامل البريجادير عن بعد ، عبر الشرفة ، وهـــو يراقص فتاته . وبينما كنت مستغرقا في ذلك ، سمعت دالبى يقول لى :

ـ لقد اراد أن يستعيرك للعمل معه عاما .

وظل كل منا لا يتحول بعينيه عن حلقة الرقص . واجبته قائلا :

ـ وهل تم له ذلك ؟

ـ كلا . ما لم تكن تريد غير ذلك . لقد قلت عنك أنك تفضل العمل في شارع شارلوت .

ـ اذن ، فلتدعنى اعرف عندما تجـدنى قد غيرت رايى .

وفهم دالبى ما اعنيه . ورمقنى بنظـرة كادت تنفـذ الى اعماقى . ثم سمعته يقول لى في صراحة وعدم التواء :

ـ لا تدع لما كان في هذه الأيام الأخيرة أن يترك أثره في نفسك . ما كان لى ان احدثك بذلك . غـــير ان الملابسات اقتضت ان توضـــع موضع التجربة لفترة ما . ولقد كانوا يتوقون الى الصاق التهمة باحد كبار الضباط من المشكوك فيهم ، او قل التأكد من شكوكهم عندما ينبرى لمساعدتك ضد حملتهم عليك . هل تفهمنى . انهم يسلطون الأضواء عليك ، وليس عليه ، ليكشفوا عن حقيقة أمره ، لا أمرك . ومن هنا ، يتعين عليك ان تواصـل القيام بدور المضطهد الذى رســـم

لك . ضع ماقلته لك نصب عينيك ولا تستفسر منى عن شيء الآن .

وما أن وافت الساعة الثانية عشرة والنصف ، حتى تسللت من البـــاب الجانبى للحـديقة عبر طريق الخدمات الممتـــد بجوار مكتب البريد . وكانت الفرقة الموسيقية المختلطة بضـــحكات المدعوين بمنزل الجنرال ، تصـــل الى سمعى سارية مع الليـــل الساكن فى هذه الجزيرة التى ملئت حياة . وعلى مسـافة قريبة من مكتب البريد ، دخلت الكوخ المنعزل ، الذى وجدت به جنديا شابا سلمنى برقيتين ، علمت منه أنه تلقاهما بعد الساعة السادسة والنصف ، حين مرت به لآخـر مرة .

« ليس للجاسوس أصدقاء » ، هذا ما يقوله الناس . ولكن الأمر غير ذلك . فالجاسوس يجب أن يكون له أكثر من صديق . أصدقاء يكتسب صداقتهم بما يقوم به لاجلهم ، وأصدقاء يكتسب صداقتهم بامتناعه عن القيام بأشياء أخرى . ولكل عميل «شبكته» التى تمتـد عبر الحدود وتتخطى كل ولاء . تلك هى ضمانات الجاسوسية ودعاماتها .

وفضضت البرقية الاولى. وكانت من رجـل يدعى جرينالد ، أصبح من رجال السياسة ومن أصحاب الرتب الكبيرة ، وان كانت لا تقرن باسمه . وهى مرسلة من مكتب بريد ليون . وقد تأكدت من أنها مرسلة منه لأن اسم برت الذى ورد بها كان اسمه الحركى عندما كان يعمل لحساب المخابرات الفرنسية وكنت على اتصال به حينئذ . وكان نص البرقية كالآتى : « ان مرشحكم السامى ١٨١٨ ب . ت ١٣٠ سيدفع لبرت » .

ثم اطلعت على البرقية الثانية ، التى كانت من البرقيـات العـادية الصادرة من مكتب بريد شارع جيرارد بلندن ، ونصها كمـا يلى : « قرأت صحيفة فى ج . ك . عن ٣ من ثانية . » وكان التوقيع : أرتيميدوروس .

وتأملت البرقيتين . فكل من المرســلين قد ضمن رســالته ما

يختلف عن الآخر . وكان واضحا أن جرينلد يحاول أن ينبئنى بأننى استطيع أن أستغل الاموال المودعة بالرقم الموضح بحساب أحد بنوك سويسرا . وكان من اليسير أن أهتدى لاسم هذا البنك ، لأن لكل بنك نغرة تختلف عن الآخر ، ومجرد ذكر الرقم يكفى ليتبين البنك ما اذا كان الحساب مودعا به من عدمه . وابتسمت وأنا أتساءل عما اذا كان هذا المبلغ نتيجة لعملية التزييف الامريكية التى سبق له الاشتراك فيها . أما البرقية الثانية فكانت من تشارلى كافنديش ، العميل السرى لخدمات الاستعلامات المشتركة . وكان يميل الى لسابقة خدمة ولده معى بالجيش ، ولما قتل ابنه فى الحرب ، واتصلت به بعد ذلك ، استمرت علاقتى به وكنا من حين لآخر . وكان مرحا ميالا للدعابة ، مما كان حائلا بينه وبين تولى رفيع المناصب . وكان يقيم بشقه بالقرب من المتحف البريطانى .

وعدت أدراجى للحفل ، حيث وجدت الراقصين قد تضاعفوا عددا ، وتمايلوا نشوة . واتجهت الى الغرفة التى أعدها الجنرال لتكون مكتبا ثانيا له . وقلت للمراسلة الشاب الجالس خارج الغرفة مبتسما :

ـ أظن أن الجنرال لا يريد أن يزعجه أحد ؟

فابتسم الجندى وقد بدا عليه الارتباك ولكنه لم يحاول أن يوقفنى، وأسرعت بدخول غرفة المكتب ، حيث أشعلت سيجارة لأنعم بتدخينها فى هدوء .

وكانت مجموعة كتب شكسبير ، فاخرة التجليد ، تسر الناظرين وكنت أعرف ما أشار اليه صديقى الذى وقع برقيته باسم أرتيمدوروس . انه المشهد الثالث من الفصل الثانى من يوليوس قيصر ، فقمت باخراج المسرحية من المجموعة وجلست أقرأ ماورد بهذا المشهد .

وعلى الضوء الخافت المنبعث من مصباح المكتب ، تبينت شخصا يقف بالباب ، وسمعت في الوقت نفسه صوت انطلاق أحد

الصواريخ المدوى . وتأملت الواقف بالباب ، فوجدت انه جندى طويل القامة • وبعد أن تقدم نحوى وتأكد من شخصيتى ، حيـــانى قائلا :

ـ تحيات البريجادير دالبى ، ياسيدى •

ـ نعم . ماذا هنالك ؟

ونهضت لأعيد مسرحية شكسبير الى مكانها •

ـ لقـــد وقع حادث يا ســـيدى • فقد انحرفت ناقلة احـــدى المولدات الكهربائية عن الطـريق انحرافا خطيرا . وكان الليفتنانت مونتجومرى مستقلا هذه السيارة • انى لجد آسف يا سيدى لازعاجك • لقد سألنى البريجادير وهو يستقل سيارته أن اخطـــرك بالحادث و ••••

ـ لا عليك من الاعتذار • وشكرا •

ان هـــذا الضـــابط هو بارنى • وانصرفت من فورى • وكانت السحب قد حجبت عن الارض ضوء القمر ، فبدا الليل مظلما عابسا وكأن الجزيرة اتشحت بالسواد • وكنت أكذب نفسى عما سمعته عن وفاة بارنى بارنز ، وأمنيها بأن فى الأمر خطأ ما • انه العقل البشرى، عندما لا يريد أن يصدق شيئا مما يقال ، يجنح دائما ليردد ما لم يسمع ويرى •

وانطلقت بالسيارة الليتكولن كونتننتال فى الطريق العام ، حيث لحقت بسيارة دالبى التى كنت أرى أنوارها الخلفية أمامى • ثم رأيته ينحرف يسارا بسيارته الى طريق الشاطىء ، الذى لم يعتن بتعبيـده لقلة المرور به • ورأيت دالبى ينطلق بسيارته بسرعة ٦٠ ميلا فى الســاعة بالرغم من وعورة الطـــريق • ولم اســـتطع أن أتتبع مصابيح دالبى الخلفية ، لأنها كانت تختفى عن عينى من آن لآخر بحكم منحنيات الطريق • وفجأة ابصرت لافتة حمراء كتب عليها : تحذير • توقف على مسافة ٢٥ ياردة من هذه اللافتة • فتوقفت حيث كانت الساعة

٢ و١٢ دقيقة صباحا • ولكننى لم اتبين اثرا لدالبى • لقد مرق من اللافتة الحمراء •

وبحثت عن ســـجائرى • وقمت باشـــعال احداها ، بينما انقلب الليل نهارا ، نتيجة للانفجار المدوى الذى تردد صداه فى الجـــزيرة بأسرها •

- ٢٢ -

وفتحت باب السيارة ، لأخطو الى خارجها فى ضوء هذا الانفجار الذى احال الليل نهارا • ثم خيم السكون على الجزيرة ، ولم يقطع حبله الا صوت .. صفارة » الانذار تدوى فى عويل غير منقطع •

وحلقت طائرتان هيليكوبتر فى الجو فى اتجـاه جـزيرة شـــوت وألقيتا بقذائف يدوية فى البحر • وكانت كل من الطائرتين ترسـل بأنوارها الكشافة التى تخطف الأبصار • واستطاع البوليس الجوى أن يحدد مكان هدفه الذى يحاول أن يكشف عنه • ودارت احدى الطائرتين دورة كاملة واتجهت الى ناحيتى • وجلست حيث أنا لا أبدى حراكا • وكانت الساعة ٢ و١٧ دقيقة ، عندما سمعت صوتا فى المذياع يدوى مخترقا طبقـات الهواء ، لم أتبين لأول وهلة ماذا يقـــول ، بالرغم من محاولتى هذا جاهدا • وكانت لهجة الصوت قوية آمرة عنيفة •

ـ لا تحاول أن تتحرك من مكانك •

واقتربت الطائرتان من ســـيارتى • ثم ابتعدت احـداهما قليلا لتسلط اضواءها على ما حولى • ورأيت سلما يتدلى من برج مراقبـة الطائرة الأقرب • كما استطعت أن اتبين على ضوئها الكاشف السيارة المحطمة وجثة الجندى المتوفى مدلاة الى النصف من زجاجها الأمامى• ولم يدهشنى انه قضى نحبه بهذه الصورة • اذ لا يمكن لرجل ان يقـاوم

الموت فى « كابينة » معدنية تتصل بتيار مرتفع القوة لمولد كهـــربائى كبير ٠

وكانت الســـاعة ٢ و٣٦ دقيقة صـــباحا عنـدما أقبل الكولونيل المتحمس ليلقى القبض على ٠ وفى الساعة ٢ و ٣٦½ دقيقـــة تذكرت القفازين العازلين الموجودين « بتابلوه » السيارة واللذين عثرت عليهما عندما كنت أبحث عن سجائرى وتساءلت عما اذا كانا لبارنى بارنز ٠

- ٢٣ -

فتحت عينى على ضوء منبعث من مصباح قوة ٢٠٠ ـ وات ، يتدلى من السقف ٠ فأغمضتهما لأريحهما من عناء الانبهار ٠ ثم أعدت فتحهما رويدا رويدا ، دون أن أحاول النهوض على قدمى ، مؤثرا أن أظل فى وضعى الذى يتفق مع ما أشعر به من اجهاد وارهاق ٠ ورأيت الجندى الذى كان يجلس خارج غرفة مكتب الجنرال ، جالسا أمامى عبر الغرفة، مستغرقا فى قراءة مجلته التى كانت بيده من قبل ٠

وكنت أمنى النفس بسرعة قيامهم باستجوابى ، حتى تنجلى الأمور لى ولهم ٠ وكنت مستلقيا على احدى محفات جيش الولايات المتحدة ٠ وتأملت النافذة الموجودة بالغرفة ، فوجدت أنها قد أحكم اغلاقها ٠ ودرت بعينى فى الغرفة لأتبين أين ألقوا بى ٠ وخيل الى أننى فى غرفة من غرف المبانى الحكومية المقامة فى الطرف الشمالى للجزيرة ٠ ولم يكن بالغرفة غير تليفون موضوع أسفل المقعد الذى يجلس عليه حارسى ٠ ولم يكن الحارس مسلحا ٠

وبعد طول انتظار ، قدموا لاخراجى من الغرفة التى احتجزونى بها ٠ وقرات مكتوبا على بابها عند خروجى « غرفة انتظار رقم ٣ » ٠ وساروا بى بضعة أمتار فى الردهة ٠

وخلف باب كتب عليه « قسم الامن الطبى للضباط » ، دخلت الى غرفة مظلمة دافئة مزودة بخير أثاث ، قد انعكس ضوء مصباحها رأسا على المكتب الفاخر الذى وقع نظرى عليه عند دخولى الغرفة ٠

والى هذا المكتب كان يجلس ضابط كبير برتبة البريجادير انه البريجادير الذى كنا قد التقينا به فى الحفل وتبادل حديثا طويلا مع دالبى ٠ وكان مشغولا بتناول ما أمامه من طعام ، حتى أنه لم يرفع عينيه الى ، وهو يشير بيده الى المقعد الجلدى أمامه ليأذن لى بالجلوس٠

ـ هل لك فى قدح من القهوة يا ولدى ؟

ـ كلا ، شكرا ٠

وكان صوتى بادى الغرابة حتى رفع الرجل عينيه لأول مرة وتأمل وجهى وما عليه من كدمات نتيجة لما وقع على من اعتداء اثر اعتقالى ٠ وكانت شفتاى متورمتين ، وهـذا ما جعل صوتى يبدو غير طبيعى ٠ واستطردت قائلا :

ـ لقد «أكلت» مافيه الكفاية ٠

ـ انك فتى شديد المراس ٠ اليك هذا ٠

وصب لى قدحا من القهوة أكثر فيه من قطع السكر ٠ ثم رفع سماعة التليفون ليأمر لى ببعض الطعام ٠

وبعد أن فرغت من تناول طعامى ، قدم لى سيجارا ٠ فلما اعتذرت عن قبوله ، قدم لى سيجارة من سجائر الجواز المفضلة ، وألح فى أن أحتفظ بالباقى ٠ وكان الهدوء فى الغرفة شاملا ، الا من دقات الساعة الكبيرة خلف مقعده ٠ وكانت الساعة قد بلغت العاشرة والنصف ٠ وكنت أتنقل بعينى فى الغرفة الفاخرة الاثاث ، التى ان دلت على شىء ، فانما تدل على ما لشاغلها من مركز مرموق أفسح مكانا لما أراد أن يأتى به من متاع عبر البحار الى جزيرة توكوى ٠ وعكف البريجادير على ما أمامه من أوراق يدرسها ، وقال لى دون أن يرفع عينيه : « اننى مضطر أن أراجع كل ما يعرض على من تفاصيل » ٠ وخيل الى لأول وهلة أنه يعنيني بكلامه هذا ، ولكنه مد يده الى ببعض

الصور الفوتوغرافية • وكان من بينها صـــورتان من صور تحقيـــق الشخصية لكوربورال فى حوالى الثانية والعشرين من عمره • وبعـد ان أعدت الصور اليه قلت :

ـ اذن فهو جندى ؟

ـ ومن خيرة جنودنا • لم يمض عليه بالجيش اكثر من ســتة أشهر • هل تعرف شيئا ؟ ان أول مرة قدر له فيها أن يرى المحيط كانت فى الشهر الماضى عند مروره بفريسكو • عندما تنتهى من تنـاول قهوتك ، سأريك شيئا هاما •

ونهض عن مقعده ووقف ينتظر حتى أفرغ من تناول قهوتى • وقلت له بعد أن افرغت قدحى :

ـ قد يطول بى الأمد حتى يتاح لى تناول القدح التالى •

فابتسم قائلا : « قد يحدث هذا • سنعود الى غرفتك » • وكان الدهليز مضاء بمصباح أزرق اللون • ووجدت غرفة الانتظار رقم ٣ غير مغلقة • وفتحت بابها لأجد نفسى فى وضح النهار ، مع أن الســاعة كانت العاشرة والدقيقة الاربعين مساء •

وكان الضـــوء قويا يخطف الأنظـــار ، وقد فتحت النـافذة على مصراعيها ، لينفذ منها ضوء شمس منتصف النهار الاستوائية • ووجدت المحفة التى كنت أستلقى عليها فى مكانها بجوار الحائط أسفل النافذة، وعليها نفس الغطاء المتناثرة عليه بقع دمائى ، اثر ما نالنى من اذى ووقع على من اعتداء • وعلى هذه المحفة وجدت جثة عارية مثخنـــة بالجراح •

ومشى البريجادير الى حيث توجد الجثة بخطوات متمهلة وهو يقول مشيرا اليها : « انه الكوربورال ستيف هارمون • وقد كتبت بما حدث له لقومه • انه الشاب الذى قتلته فى الليلة السابقة » •

- ٢٤ -

فضيت من الاربعة والعشرين ساعة التالية حوالى الاربع عشرة ساعة مع البريجادير ، مع أن الاطباء كانوا قد نصحوا بعدم ارهاقى • وعدنا فى المساء الى غرفة مكتبه • وكان هناك المزيد من القهوة والمزيد من الشطائر • وبعد أن صب البريجادير لنفسه القدح السادس من القهوة فى مدى نصف ساعة ، بدأ حديثه قائلا :

ـ ان ملفك الذى تحت يدى يا كولونيل به ثلاثة نجوم • ولهذه النجوم الثلاثة دلالتها • وهى لا تعنى حتما أنك ممتاز فى عملك • انها تعنى أنك تشكل خطرا شديدا علينا • كما أنها تعنى أيضا ، بالنسبة لى ، أنك بارع فى بحثك واستقصائك • وأنا لا أزعم لنفسى هذه الكفاءة ، فها أنا الا شخص يكلف بالكشف عن ثغرات الأسلاك الشائكة• لقد أخبرتنى بأنك لم تزود تلك الغواصة الروسية بالاشارات اللازمة فى ليلة الخميس الماضية • وبودى لو أصدقك • وما عليك الا أن تفند ما أدليت به اليك من معلومات ، وتدحض كل حجة فيها ضدك . حتى تنهار وتتبدد خيوطها •

ـ ولماذا لا تكون الغواصة هى التى اطلقت أنوارها الكاشفة ؟

ـ وهل فى هذا شك ؟ يقينا أنها قامت بذلك فعلا • لاتحاول ان تمارى •

ـ فما دام الأمر كذلك ، فما هى حاجتها الى عميل تستعين به على ذلك ؟

ـ اصغ الى جيدا • لقد تتبعنا الاشارة ، لأننا •••

ـ أية اشارة ؟ لقد استفسرت منك عنها أكثر من مرة ، ولكنك لا تريد أن تخبرنى بشىء عنها •

ـ الاشارة التى قمت بارسالها • الاشارة المتفق عليها •••

لأنك ... لأنك .. قذر .. لأنك قـــذر . اننى اكبر ســـنا من أن تعبث بى ...

ـ أظن أنه من حقى أن أتلقى الاجابة على ســـؤالى . ان هـــذا الاستجواب يمس حياتى كلها .

ـ كانت الاشارة ذبذبات كهربائية مرتفعة السرعة ، يمكن أن يعاد تفسيرها بعرضها البطىء . لقد حدث هذا فى الليلة الماضية ، ونقلت صور بالطريق الالكترونى لبرج القاعدة .

ـ ولكن الظلام كان دامسا فى الليلة الماضية ، فهل كان من الممكن التصوير فى مثل هذا الظلام الدامس ؟

ـ ما كان يجدر بى أن أخبرك بشىء ، ولكننا ما دمنا قد بدأنا هذه الكوميديا .. ان رجالنا غير واثقين فى الواقع : ربما كان للذبذبات الكهربائية العالية القدرة على التصوير فى الظلام . وربما تكون الغواصة قد سلطت أضـــواء على السحب لتعكسها بالتـــالى فى لحظة التصوير والارســـال ، من تلك الأشعة الحمـــراء التى لا يمكن أن ترى بالعين المجردة .

ودخلنا فى مناقشة فنية طويلة كنت ندا له فيها . حتى اضطر أخيرا ان يشفع أقواله بعرض سينمائى قائلا :

ـ اليك هذا الفيلم . تلك هى سيارتك .

واستطرد معلقا على مشـــاهد الفيلم ، التى ســـجلت كل حركاتى وسكناتى فى الليلة السابقة ، منذ أن توقفت بسيارتى الى أن حلقت الطائرتان فوق المنطقة التى توقفت بها ، الى القاء القبض على .

وكان من اليسير أن أفهم السر فى قصاصة الورق التى عثرت بها فى صندوق الكرانبرى برف الحصن . ان البيانات التى كانت مدونة بها كانت الاسلوب القياسى للاتصال بالغواصات وهى تحت سطح الماء. وتبينت أننى أحسنت صنعا بعدم الاحتفاظ بهـــذه الورقة وباعادتهـــا الى الصندوق .

- ٢٥ -

كانت الأيام التالية من الأيام الزاخرة بالحركة والاستجواب ، وفحص الأطباء والاختبارات ، تعرضت فيها لكل تجربة قاسية يمكن أن يتعرض لها انسان • ولقد أنسانى كل هذا نفسى وكيانى كله ، حتى أننى بدأت أشك فى وجود جين أو دالبى ، وأحيانا كنت أشك فى وجود ذاتى • وتوقف بى الزمن عند الساعة ٤ و٢٢ دقيقة التى توقفت عندها ساعتى من قبل ، عندما تعرضت معى لما تعرضت له من أعمال العنف عقب القاء القبض على •

وفى يوم ما ، وربما كان هذا فى ليلة ما ، قدم الى غرفة الانتظار رقم ٣ ، أحد ضباط جيش الولايات المتحدة برتبة كابتن • ولم أحاول أن أنهض من فراشى الذى كنت مستلقيا عليه • وكان فى نحو الثانية والأربعين من عمره • وابتدرنى قائلا :

ـ انهض على قدميك •

فرفعت كتفى مستخفا به •

ـ انهض والا ركلتك •

ثم وضع يده فى جيب حلته الأمامى ، ليخرج ورقة بيضاء فضها قائلا :

ـ هذا أمر بابعادك ، موقع عليه من وزير الداخلية • انه من حسن حظك أننا نسلمك فى مقابل تسليمنا اثنين من طيارينا ، والا كان مصيرك غير هذا •

ـ ولماذا تستبدلنى انجلترا باثنين من الطيارين ؟

ـ انجلترا ! هو هو هو ! انجلترا ! انك لن تذهب الى انجلترا أيها الخنزير • انك ذاهب الى المجر • انهم سيكونون بحاجة اليك ليقتصوا منك لتعكير صفوهم •

ـ هو هو لك ! سأحتفظ لك ببعض ما يقدم الى •

ولم يكن بوسعى الا أن أسخر منه ، لأننى لم أحمل ما قاله عن تسليمى للمجر محمل الجد فى أول الامر ٠

غير اننى عدت للتفكير فيما سمعت جديا زهاء ساعتين ٠ وشعرت بعجزى عن القيام بشىء ٠ حتى الاتصال بدالبى وجين كان متعذرا على ٠ ولم يبد فى أفق تفكيرى بادرة أمل يمكن أن أعول عليها ٠

وقطع على حبل تفكيرى قدوم أحد الأطباء بمحفة طويلة على عجل، ملحق بها عارضة عليها اثير وقطن ومحقنه ٠ وبعد أن تحسس دقات نبضى وقلبى ، وتفرس فى عينى ، سألنى ان استلقى مسترخيا على محفته ٠ وصدعت بما أمرت به ٠ ولكننى سألته :

ـ كم الساعة الآن ؟

ـ الثانية والثلث ٠

ثم دلك ذراعى بالاثير ، وحقننى تحت الجلد ٠

ـ كم الساعة ؟

ـ الثانية والثلث ٠

ـ كم ، كم ، كم ٠ الساعة ، الساعة ، الساعة ٠

وأنكرت صوتى ٠ لقد كانت نبراته غريبة على ، كالصدى المعدنى الأجوف ٠ ورأيت الطبيب فى معطفه الابيض يتضاءل ويتضاءل ويبتعد عنى ويبتعد ، مع أنه كان لا يزال ممسكا بذراعى ٠ واختلط على ذهنى؛ واختلطت على الرؤية ، وشعرت بأننى أغوص ثم أطفو ، حتى غبت عن الوعى ، واسدلت على عقلى ستر الحجب ٠

وصعدت من أعماق فقدان الوعى ، الى سطح اليقظة رويدا رويدا٠ وطفوت من الظلمة التى غصت فيها ، الى النور الذى بدأ ينفذ الى ثنايا عقل ويضىء عينى ٠ وبدأت أحس بآلامى . فبدأت أتحقق من اننى مازلت احيا واعيش ٠ ان جسدى يؤلمنى ، اذن فأنا اعيش ٠

واستطعت أن أرى ساعتى المحطمة على ضوء نافذة صغيرة ٠ وكانت

عقاربها تشير الى الساعة ٤ و ٢٢ دقيقة . تلك الساعة التى توقف عندها الزمن بالنسبة الى . وسمعت أصواتا عن بعد . ولم اتبين منها كلاما ، بل كانت أصوات أنات وزفرات .

وبدأت أستعيد كمال وعيى ، وأحس بحقيقة ما هو حولى ، قبل أن تستعيد عيناى قدرتهما على التركيز والرؤية المفصلة . واغمضت عينى واستسلمت للكرى . وقضيت أياما وليالى مرت ثقالا . وكانت ساعاتى أياما وليالى اسابيع . وكانوا يأتوننى بطعام تعافه النفس ، لا أمد له يدا الا بعد أن يعضنى الجـــوع بنابه . وكثـيرا ما كانوا يعودون به دون أن أتناول منه شيئا . وكان الرجل الذى يحمل الى الطعام واحدا لا يتغير ، بشعره الاشقر القصير ، وبوجهه البارز العظام، وبحلتـــه الرمادية اللون ذات القطعتـين . وفى يوم ما ، بينما كنت جالسا على أرضية الغرفة فى ركن منها ـ اذ لم يكن ثمة بالحجرة اية قطعة من الأثاث ـ سمعت مزلاج الباب يرفع ، ليدخل منه كوبلاى خان، حامل الطعام الى . ولكنه لم يكن يحمل طعاما فى هذه المرة . ولم اكن قد سمعت صوته من قبل لأنه لم يسبق له أن وجه الى كلاما . قال : « ان السماء زرقاء والأرض سوداء » . فتطلعت اليه بعينى دون أن أعقب بشيء ، وسمعته يعيـــد ترديد : « ان الســـماء زرقاء والارض سوداء » .

ـ وماذا بعد ؟

فتقدم منى وصفعنى . ثم عاد ادراجه من حيث أتى بعد أن أحكم غلق الباب . واستغرق منى ادراك أن على أن اردد ما يقوله كوبلاى خان . يومين كاملين . وما ان جعلت من نفسى ببغـــاء يردد ما يقوله حارسى ، حتى كان الجوع قد بلغ بى اقصى مداه ، فأتيت على طعامى دون أن تعافه نفسى . وكنت أسمع منه أحيانا : « النار حمراء والسحب بيضاء » أو « الرمال صفراء والحرير ناعم الملمس » . فأسرع بترديدها بعد أن تعلمت ما يجب على عمله .

ورايت ان اخط باظافرى علامات على الجدار ، أعرف بها عدد ايامى ، بصرف النظر عما مضي منُها ولم استطع له عدا ٠

وبعد خمســـة وعشرين يوما من نتيجة حائطى المبتكرة ، أقبـل كوبلاى خان لينبئنى بأن هناك زائرا سمح لى باستقباله لفترة لا تزيد عن الست دقائق ٠ وبعد أن سمعت حركة غير عادية بالدهليز ، فتح حارسى الباب لضابط مجرى شاب برتبة الكابتن ٠ وتحدث الى بلغة انجليزية سليمة قائلا : « لقد طلبت مقابلة السفير البريطانى » ٠

ـ لست أذكر ذلك ٠

ـ اننى لا أسألك ، بل أقرر واقعا ٠ ان سكرتيرا من السفارة قد قدم لمقابلتك بناء على طلبك ٠ وسأتركك لتنفرد به لست دقائق ٠

وانصرف مبتسما كما دخل مبتسما ٠ وفتح كوبلاى خان البـــاب لرجل طويل القامة ، قدم نفسه الى على أنه السكرتير الثالث بالسفارة٠ وصارحنى بأنه لا يوجد لديهم ما يثبت جنسيتى الانجليزية ، وان كنت أبدو كذلك فى عينيه ٠ وكان مرتبكا ، حتى أننى قلت له :

ـ معذرة يا سيدى ، أرجو ألا تسىء فهمى ٠ هل لى أن أطلع على ما يثبت شخصيتك ؟

فضاعف هذا من ارتباكه قائلا :

ـ على الاطلاق ٠ ليس لدى مانع ٠

ـ لست أعنى اوراق تحقيق الشخصية أو ما الى ذلك ٠ انك تفهم ما أعنى ٠ أريد ان أرى أو أسمع منك ما يدل على أنك على اتصال غير منقطع بمجريات الأمور فى بلدى ٠

وألقى على مسامعى الكثير مما أبغى ، وأردف معتذرا عن عـدم استطاعة السفارة أن تقوم بشيء من اجلى موضحا الاسباب ٠ كما لاحظت من أقواله أنه كان شديد اللهفة ليعرف منى ما أنا بسبيل الافضاء به عن دالبى وجهازه ٠ وما اذا كنت سأتهم أحدا منهم بشيء ، وماذا سيكون من امر أقوالى أمام شرطة المجر فى حالة استجوابى ٠ وانصرف ، وتمنيت

لو لم يحضر • وما كان أغنانى عن هذا الذى صارحنى به ، من اننى لم أعد من رعايا بريطانيا •

وعاد سكرتير السفارة البريطانية ثانية ليزورنى ، وكان فى هذه المرة بصحبة الضابط المجرى الذى تولى عنه الحديث فى حضوره قائلا :

ـ ان حكومة جلالة الملكة لا يمكن بأى حال ما أن تعتبرك من رعايا بريطانيا • وبناء عليه ، ستكون محاكمتك فى ظل القانون المجرى •

ولم أسمع من سكرتير السفارة البريطانية تعليقا على ذلك ، غير ابداء أسفه • أما أنا فعقبت على هذا الاعلان قائلا :

ـ محاكمة ؟

واستلقيت على الأرض ـ فراشى الوثير الجديد ـ لاجئا الى النوم لعله أن يريحنى مما يضطرب به ذهنى وتجيش به نفسى • ولم يكن تفكيرى ليدور الا حول ما يتردد على طرف لسانى فى همس : « اذا لم تخرجونى من هنا بأسرع ما يمكن ، أيها الزملاء الأعزاء . فان الكنير سيحيق بكم » •

وكان ضابط الجيش يأتى لزيارتى بين يوم وآخر ، لأنه قد عين للدفاع عنى • وفى أول زيارة له بصفته الجديدة ، تلا قائمة الاتهام التى استغرقت منه حوالى الساعة • وكانت باللغة المجرية ، ولكنه كان يترجم لى بعض عباراتها الهامة ، « كعدو الدولة » و « الخيانة العظمى » و « التآمر ضد الشعب » و « الامبريالية » و « الرأسمالية » •

وبلغت علاماتى التقويمية أربعة وثلاثين عدا • ولم أعد ستيف ريفز من شدة ما قاسيت وطول ما عانيت • وكنت اشعر بأن حالتى الجسمانية والعقلية فى تأخر مستمر • وما لم تقع المعجزة التى تخرجنى من سجنى هذا ، فانه لن يتبقى من ذاتى التى أعرفها وأحبها شىء • ولكن ، أنى لى هذه المعجزة ! اننى يجب أن أكون « هودينى » آخر لأنفذ من هذه الجدران وأقتحم هذه الابواب •

وفى اليوم الخامس والثلاثين ، قلبت الامر على كل وجه ، محاولا أن أستجمع شتات ذهنى وأفكر فى هدوء وتعقل • ان سبيلى الوحيد هو هذا الباب • انه السبيل الذى لا بديل عنه لأخرج من سجنى • ولم يشذ من حراسى عما كان متبعا من احكام غلق الباب ، سوى حارسى العجوز الذى كان يتولى نوبة الحراسة فى بعض الليالى ، ويقف خارج الباب احيانا ليراقبنى من فرجته • والليل هو الوقت المناسب لمحاولة تسللى مستترا بظلامه • وقررت أن أبدأ بهذه المحاولة فى تلك الليلة• وتظاهرت بأننى مضطجع على الحائط لأستريح ، بعد أن أحكمت قياس خطواتى الى هدفى ، وهو الباب • وعندما أقبل الحارس ، لم يقترب منى بما فيه الكفاية • ولم أتحرك بدورى • وخلدت الى النوم • ومرت ليلة أعقبتها أخرى • وفى الليلة الثالثة ، وقف الرجل فى فرجة الباب يقدم لى سيجارة • فصفقت الباب بكل قوتى فى وجهه ، واصطدم برأسه صدمة سقط فى أعقابها على الارض فاقد الوعى • وأسرعت بسحبه الى الداخل • وجردته من حلته وغطاء رأسه وأسرعت بارتدائهما فوق ملابس السجن ثم أحكمت غلق الباب وتسللت الى الخارج فى الظلام • ومن الدهليز هبطت الدرج الى الردهة الرئيسية ، حيث أبصرت بشعاع من الضوء ينفذ من قاعدة باب على يمينى ، كانت تنبعث من غرفته موسيقى أمريكية هادئة • واتجهت صوب الباب الرئيسى الذى لم يكن معينا عليه حرس • فقررت الا أقربه لما ساورنى من شك ، واتجهت الى اليمين ناحية باب احدى الغرف المظلمة ، وفتحته ثم دخلت منه الى حجرة استطعت أن أرى بها على ضوء القمر بعض صناديق الملفات والكتب التى تغطى جدرانها • وتحسست بأصابعى اطار النافذة لأتحقق مما اذا كانت متصلة بجهاز انذار كهربائى من عدمه • وفعلا وجدت أسلاك الاتصال التى يمكن ان تؤدى مهمتها فى حالة فتح النافذة • وبينما كنت أقوم بقطع هذا الاتصال وطأت قدمى قلم رصاص أحدث صوتا عاليا فى هذا السكون الليلى • وتوقف صوت الموسيقى التى كانت تنبعث من جهاز الراديو فى

الغرفة المجاورة • وخشيت ان يكون ذلك نتيجة للصـــوت الصـادر عن تحطيم القلم بقدمى • فأمسكت أنفاسى وأنصت • وسرى عنى لما سمعت الراديو يعود الى اذاعة موسيقى محطة ارسال أخرى •

وفرغت من تعطيل عمل الجهاز بالنسبة للنافذة • وفتحت النـافذة وتسللت منها ففزا الى الحشائش المبتلة أسفل قاعدتها • وفى هـــذه اللحظة بالذات سمعت الباب الأمامى يفتح ، ورأيت شعلة تتحرك بضوئها فى الغرفة التى كنت قد تركتها منذ دقيقة على الاكثر • ولم يحاول أحد أن يقترب من النافذة التىكنت قد أعدت ايصاد «دلفها» دون احكامغلقها ولكنها بدت للرائى من الداخل وكأنها لم تفتح ، وبالذات اذا كان هذا يعلم بأمر الانذار الكهربائى الذى عطلت فاعليته • وظللت قابعا فى مكانى حيث أنا لا أتحرك • ورأيت سيارة تسرع براكبيها ، غـير أننى لم أستطع أن أتبين شيئا مما كانا يقولان •

ونهضت أستحث الخطى صوب مؤخرة المبنى • وكنت مطمئنا بعض الشىء الى ملابسى الخارجية الرسمية • وانتهت بى خطواتى الى الســور الخلفى الذى كان بارتفاع قامتى • وتحسست بيدى لأتبين ما اذا كانت به أسلاك شائكة أو قطع من الزجاج المدبب • ولما تأكدت من عدم وجود شىء من هذا القبيل مددت ذراعى وقبضت بيدى على أعلى الجدار تهيـؤا للقفز • وليس من شك فى أن هذا يتطلب من القوة التى تعيننى على القفز مالم يكن متوفرا لى فى هذه الآونة الاخيرة • وسمعت نباح كلب عن قرب منى • وتلفت ناحية مبنى السجن ، فرأيت ضوء شعلة كاشفة يتحرك فى برج المراقبـة • لئن اتجه الضـــوء الى ناحيتى ، فان أمرى سينكشف • وبكل ما اوتيت من قوة أسرعت باعتلاء السور ، قبـل أن تتم الانوار الكاشفة دورتها ، ثم القيت بنفسى فى الناحية الاخرى منـه فى نفس اللحظة التى سلطت فيها الانوار الكاشفة على البقعة التى كنت أقف بها منذ بضع ثوان • وكان بودى ألا أنهض من هذا الفراش من العشب الوثير ، لأنعم مستلقيا باستنشاق نسيم الليل النقى ونســـيم

الحرية العزيز على النفس • وكنت متعبا مجهدا منهوك القوى • ومع ذلك فقد كان على أن أنهض وأواصل خطاى لأستكمل حريتى ، وأنطلق بعيدا عن سجنى ومكان أسرى • وبعد قليل ، تعثرت خطاى فى بعض الاعشاب اليابسة والاسلاك ، فسقطت على الارض محاولا أن أتخلص منها • وأبصرت بشعاع من الضوء فوق رأسى وظل رجل يتوسط اطاره قائلا :

ـ من هناك ؟ ابتعد عن « نباتى المعترش » ، أيها الغبى !

وفى هذه الدقيقة ، سمعت ساعة تدق العاشرة مساء •

ـ ٢٦ ـ

قد يكون من اليسير الآن أن أدعى أننى كنت أعرف الاجابة عن كل ما يتعلق بمعميات هذه المرحلة • من اليسير أن أزعم بأننى كنت أعرف أنهم يحتجزوننى فى قصر كبير لحساب لندن الى آخر ما هو من هذا القبيل • كلا • ان شيئا من هذا لم يحدث • لقد خيل الى شىء من هذا القبيل ، ولكن حدسى تبدد مع الايام ، وحل محله يقينى بما كنت أعانيه من عذاب الجوع والحرمان والمعاملة غير الكريمة التى كنت ألقاها من كوبلاى خان ، هذا اليقين الذى باعد ما بينى وبين فكرة أن لندن كانت قريبة منى ، لا تكاد أن تبتعد عن سور الحديقة المحيط بسجنى • ولذلك بدأت أفكر فى الهرب حتى اختمرت الفكرة فى رأسى ، ثم استجمعت كل قواى لأخرجها الى حيز التنفيذ والعمل الجدى •

وما دمت قد وفقت فى خطوتى الاولى ، فلن يكون من العسير أن أدبر أمرى للهرب من منزل مستر كيتنج ، « ألف كيتنج هو اسمى » ، كما أخبرنى بذلك صاحب الحقل الذى تعثرت به ، بعد أن أخبرته بقصتى المزعومة عن مشاجرتى مع زوج أختى الذى كان ثملا ، وعن

محاولته القضاء على مما اضطرنى الى ان اطلق ساقى للريح هربا منه •

واستدرت هذه القصة المختلقة عطف ألف كيتنج على وضـاعف من ذلك ما كنت أبدو به من سوء حال بعد أن لطخت الأوحال وجهى وثيابى، وتناثرت دماء يدى نتيجة لمحاولتى الفكاك من أسلاك واعشاب نبـاته المعترش • ولما لاحظت أن ألف يتأمل فى فضول حلة حارسى قلت له : « لقد كنت مضطرا أن أجد لى عملا • حيث عينت حارسا ليليا ، ليسهل على النـــوم فى أى مكان نهـارا • وسأدفع ثمن ما الحقته بنباتك من خسائر » •

فاومأ برأسه آسفا • وأخرج من جيبه صندوق « نشوق » دعانى الى مشاركته فى الاستمتاع بشىء منها ، ولكننى اعتذرت شاكرا ، واعدا اياه بصندوق جديد بدلا من صندوقه الذى كاد أن يبلى •

فشكرنى ودعانى لأغتسـل • ورجـوته أن يرافقنى فى الطريق ، لأحتمى به فى حالة لقائى بزوج أختى ، الذى لن يثير المتاعب ما دمت فى صحبته •

فوافق متحمسا • وحتى لو أثار المتاعب ، فانى كفيـل بأن أوقفه عند حده • لست ممن يطلقون سيقانهم للريح أمام أمثاله أو يولون الادبار منهم •

وقلت له مودعا : « انى لشاكر لك كل ما كلفتك من عناء ، وسأبعث اليك بتعويض ما أتلفت يوم الجمعة » •

ـ ولكننا فى يوم الجمعة •

ـ أعنى يوم الجمعة القادم ، لأننى أعطيت لزوجتى أجرى عن هذا الاسبوع •

ـ لا عليك من هذا •

وفى آخر لحظة وهو يودعنى عند محطة الاتوبيس ، منحنى ستة بنسات وبعض قطع من العملة النحاسية ، وشيعنى بنظرة عطف ، وأنا أستقل الاوتوبيس •

سمعت عامل الترنك يستفسر من تشارلى عما اذا كان يقبل الاتصال بمكالمة محولة عليه بالدفع ، فوافق . وبعدها ضغطت المحول « ا » قائلا : « هذا صديق لريج » .

ـ لقد تبينت صاحب الصوت .

ـ مستر كافنديش ، اننى أواجه بعض المتاعب .

ـ هكذا ؟ هل تسلمتها ؟

وكان يشير بهذا الى البرقية التى بعث بها الى في توكوى .

ـ أجل وشكرا .

ـ ماذا بوسعى أن أقوم به من أجلك ياولدى ؟

ـ هل تستطيع أن تقابلنى الآن ؟

ـ بكل تاكيد ، اين ؟

ـ شكرا .

ـ أين ؟ لم تخبرنى بمكان اللقاء .

فتوقفت قليلا ريثما أعد ما أخبره به : « في سجن مظلم تحيطه من كل جانب النيران التى يتصاعد منها لهب لا يضىء » .

ـ قد لا تفهم من ذلك شيئا ، ولكنها كانت تعنى الكثير لميلتون وتشارلى .

ـ لقد أدركت ما تعنيه . سأوافيك هناك فى ثلاثين دقيقة وسأدخل قبل ان تحضر وأدفع لك . هل تريد شيئا خاصا ؟

ـ اجل . انى أبحث عن عمل .

فضحك تشارلى وأنهى المكالمة .

لم يكن هنالك أضواء داخلية . غير أنه من خلال النوافذ الضخمة التى تعتبر أحد جدران الحجرة ، كانت تنفذ أضواء تمكن من بالداخل من رؤية ما بالخارج . وكان تشارلى ملتحفا بمنشفة ، واقفا كالشبح بين سحب البخار ، وسمعته يقول لى :

ـ يالها من فكرة . انها فكرة لا باس بها . لقد اتيتك ببعض ببعض ثياب ريح . ان مقاسه يكاد أن يقارب مقاسك . ان هذه الحمامات التركية مهدئة للاعصاب .

ـ هل تعرف يامستر كافنديش ، لم اجد من أتصل به غيرك . وكان لا بد لى أن الجأ اليك .

ـ ولو كنت فعلت غير هذا ، ولجأت الى غير العم تشارلى ، لكنت غضبت منك وحاسبتك حسابا عسيرا .

ان لتشارلى روحه المرحة . ولطالما ألقى على مسامعى أبياتا من قصائد « الفردوس المفقود » ، في هذا الحمام التركى وفي غرفة البخار هذه بالذات . ورايته يتأمل السحجات فى وجهى والندبة التى فى صدغى ، قائلا فى صوت رقيق « وكأنى بك وقعت فى فخ شائك » .

ـ وهذا ما كان فعلا . والأدهى من ذلك أنهم بعثوا الى ليتقاضوا ثمن ما ألحقت بهم من خسائر .

واصر تشارلى على أن أذهب معه الى منزله ، لانه لاحظ ماكنت عليه من ارهاق وضعف . وكاد أن يحملنى الى سيارته الهليمان التى كانت خارج باب الحمام التركى فى شارع جيرمين .

ولما استيقظت في صباح السبت ، وجدتنى في فراش تشارلى ـ الذى تركه لى وقضي الليل على أريكته . ونفذت الى أنفى أرومة البن المغلى واللحم المقدد ، مع ما كنت أشعر به من دفء المكان وهدوء جوه .

ولست ممن يتقنون تقدير الاشياء عدا ، ولكننى أحاول ذلك بتقدير عدد ما يوجد من كتب بشقة تشارلى ، بحوالى ثلاثة آلاف كتاب . بمعنى أنها كانت تغطى جميع جدران منزله .

وكنت جالسا بغرفة المعيشة اليومية ، عندما أقبل تشارلى يحمل أقداح القهوة وقطع اللحم المقدد قائلا :

ـ ها قد نهضت من فراشك أخيرا .

ـ أوه ، لست أدرى كيف أشكرك .

ـ هل يضيرك أن تستمع لشيء من الموسيقى ؟
ـ كلا ، بل انى لفى امس الحاجة اليها .

ودارت الموسيقى بالحركة الثانية من المقطع ٤١ من سيمفونية موزار . وحملنى اللحن على أجنحة الخيال الى تلك الامسية البعيدة التى كنت أجلس فيها مع أديم نستمع الى هذا اللحن الصادر من راديو الفيلا التى أقمنا بها على مشارف لبنان .

وبعد أن فرغت من تناول افطارى ، جلس تشارلى يقرأ مجلة الانكونتر ، ونهضت الى غرفة النوم لأستريح قليلا بعد أن شعرت ببعض الاجهاد يعاودنى ، ولأننى كنت أوثر أن انفرد بنفسي لأستعرض كل ما مر بى ، بعد أن سردت على مسامع تشارلى كل ما كان من امرى ولأننى كنت أريد أن أفكر فيما أنا فاعل بعد مغادرتى لمسكن صديقى الذى لا أريد أن اشركه فى أمرى او أورطه فى مشكلات حياتى، وبالذات هذه المشكلات الحساسة الخطيرة . فماذا عساى أن افعل ؟

ان دالبى ، فيما يبدو ، يجب أن يستبعد الى حين من تفكيرى . وكذلك كل من يعمل معه . وحتى روس لم يكن ضمن قائمة من أود أن ألجأ اليهم . واذا ماتقدمت الى القيادة العليا للجيش ، فسيسمع دالبى بذلك قبل أن يجف حبر الطلب الذى أتقدم به . اذن فبمن أتصل ولمن الجأ ؟

أو ألجأ لرئيس الوزراء ؟ لقد راودتنى هذه الفكرة لنصف دقيقة . ولكن ماذا ترى بوسع رئيس الوزراء أن يفعل ؟ انه سيستشير في ذلك أعضاء مجلس الوزراء . وهؤلاء سيقومون بالتالى باستشارة جهاز الأمن المسئول . ومن عساه أن يكون رئيس الجهاز المذكور ؟ انه دالبى . وهكذا تعود الدائرة فتضيق حتى تتركز فى دالبى . انه المخرج الوحيد لما أنا فيه من مأزق .

اذن ، فلا معدى لى عن الاتصال بدالبى مباشرة . اليس هو من أعمل معه فعلا ؟ ولكن كيف يتسق هذا الوضع مع ما سبق من ملابسات وظروف . اننى شخص مشكوك في ولائه ، حتى كادت حكومتى أن تضحى بى . ولكننى بالرغم من كل ذلك ، مازلت على قيد الحياة .

وتذكرت فجأت بارنى وهو جثة هامدة في سيارة المولد الكهربائى. وتساءلت عما اذا كان ما دار بخلدى صحيحا . ان في ذلك بعض الصحة . ولكن اذا ما كان بارنى قد قتل لمجرد تحذيره لى ، فماذا يكون مصيرى وأنا صاحب الدور الاول ؟ ترى ماهى حقيقة موقف الامريكيين منى ، وما هى حقيقة موقف المجريين ؟ وهل كان دورهما أصيلا ، أم تراه كان ... ؟ كلا ، فلنستبعد هذا الاحتمال الآن .

وظللت أقلب الامر هكذا على كل وجه وناحيـــة . مســـتعرضا مشكلتى من كل جانب لها ، لعلنى أن أستبين كنهها او أميط اللثام عما اكتنفها من غموض دون جدوى ، وكنت أعود من حيث بدأت ، لا أجد لها حلا . وغلبنى النعاس من فرط ما نالنى من اعياء ذهنى .

وصحوت من نومى لأجد تشارلى واقفا أمامى يحمل قدحا من الشاى وقطعا من البسكويت قائلا ، لقد كنت تصيح فى نومك بمـــا لم أستطع أن أتبينه . ومر بى يوم السبت هكذا فى دعة وسكون وكذلك كان حالى فى يوم الاحد . ولقيت من رعاية تشارلى وحدبه ما أخجلنى . وفى مساء الأحد ، جلست استمع الى الراديو ، وأتأمل قصاصة الورق التى أمامى ، والتى اعتزمت أن أدون بها خطة عملى .

وشعرت بتحسن بعد ما أخلدت له من راحة ، ونعمت به من طعام طيب . ولكننى ، مع ذلك ، لم أعد لحالتى الطبيعية .

وتمعنت في الورقة التى كانت بيدى ، ووجدت أننى وضعت خطا تحت اسم دالبى . ثم أشرت بسهم من هذا الخط الى اسم أليس فى ناحية ، واسم روس فى الناحية الاخرى . وذلك لأن دالبى لو كان يزمع التضحية بى ، فانه لن يجد من يعاونه في ذلك خيرا من روس ورجال المخابرات العسكرية . وقرنت بين اسمى موراى وكارسويل ، فيما وضعته أمام اسميهما من علامة استفهام تعنى الجهالة ، بعد أن ألحقهما دالبى بقسم من أقسام وزارة الحرب التى عفا عليها الزمن . ثم كان بالقائمة اسم تشيكو . الذى له عقلية لا تزيد عن عقلية طفل في الرابعة ، والذى كان آخر اتصال بينى وبينه عن طريق التليفون

عندما كان بناحية جرانتهام . اما جين ، فهى شخصية أخرى محيرة. صحيح أنها جازفت بالكثير لتساعدنى في نوكوى ، ولكن الى اى حد كانت مخاطرتها هذه وقررت أن أبدأ بلقاء دالبى غير انه كان ثمة أمر يجب أن يتم قبل ذلك .

وما أن وافت الساعة التاسعة والنصف مساء ، حتى استقر رأيى على أن أسأل تشارلى خدمة أخرى . وفى تمام الساعة العاشرة مساء ، كان قد غادر المنزل . وخيل الى أن كل شىء يعتمد على ما سيقوم به تشارلى . وجلست أتأمل صورة ابنه ريج الفوتوغرافية الكبيرة في زيه الرسمى . وتذكرت ما كان من أمر مقتله عندما داهمته سيارة نقل في بروكسيل بعد أن اشترك في الحرب طوال أربع سنوات، وكيف جئت بنفسى لأنقل النبأ المشئوم الى والده .

وتذكرت ما كان من والده بعد أن حملت اليه النبأ المفجع وتفصيلات مقتل ولده ، عندما دخل الى المطبخ بعد لنا القهوة ، وعاد ليتحدث فيما كان الناس يتحدثون به في تلك الأيام ، وفيما يتحدث به كل من يرغب فى أن يبتعد بحديثه عما يجيش بصدره من آلام .

وها هى الايام ، وتنقضى ، ويدور القدر ، لاعود لأجلس فى نفس الغرفة بين كتب كافنديش فى انتظار عودته .

وما أن وافت الساعة الحادية عشرة وخمس وعشرون دقيقة مساء، حتى سمعت وقع خطواته عائدا ليقول لى :

ـ انها شفرة لا أثر لرموزها في أى مكان . انها لم تكن وليس لها وجود .

ـ أو تمزح ؟ كان يجب عليك أن تبحث عن الاسم بين رجال الجيش الهندى .

ـ اننى لم أقتصر على هذا في بحثى . لقد اتصلت بمكتب الاحصاء في كلكتا . انهم لا يعرفون ج ـ ف كارسويل . ولا يوجد غير ب . ج . كارسويل ، ولكنه لا يتجاوز السادسة والعشرين من عمره .

ـ كلا . ان هذا يبتعد بنا عنه كثيرا .
ـ هل أنت واثق من أن الاسم صحيح ؟ ربما كان كارويل ؟
ـ كلا . كلا . انني متأكد من حقيقة الاسم . لقد قمت بالكثير من أجلى .
ـ لكم يسرنى هذا .
وكنت أشعر بأن الرجل يقول ذلك من أعماق قلبه ، دون تكلف أو مجاملة . ثم قلت له :
ـ بودى لو أدخل معك فى تفاصيل القصة لنستعرض دقائقها معا ، عسانا أن نهتدى معا لما يجب عمله .
ـ أفضل ألا تفعل ذلك الآن . لقد عرفت الكثير من أسرارها فلا. سآوى الى فراشى الآن . واذا ما ألهمت حلا ، خبرنى به .
ـ طابت ليلتك . سأجتهد أن أضع النقط على الحروف لأخرج بنتيجة منها .
ولكننى كنت أشك فى أنه سيتيسر لى ذلك . فقد كانت القصة بالغة التعقيد ، أقرب ما تكون للاحاجى والألغاز .

- ٢٨ -

يوجد بالقرب من ميدان ليشستر بعض حوانيت لبيع الصحف، اختصت بهذا الطراز من المجلات الجنسية ، كما اتخذها البعض مركزا لتلقى الرسائل التى لا يودون أن تسلم لهم بمنازلهم .
ومن احدى هـــذه الوكالات تسلمت الرســـالة الواردة باسمى المزعوم . وأسرعت بفضها ، لأستخرج ما بها ، وما كنت أعـرف أنها تحتويه ، من مفتاح جديد ، وجواز سفر صادر من المملكة المتحدة ، وجواز سفر أمريكى (مرفق به بطاقة ضمان اجتماعى بنفس الاسم) ، وجواز سفر من سكرتارية الامم المتحدة . ومع كل جواز سفر رخصة

قيادة دولية وبعض الفواتير والمظاريف المستعملة بنفس الاسم الوارد بالجواز • كما وجدت دفاتر شيكات صادرة من البنك الملكى ، بكندا ، ومن بنوك مانهاتان ووستمنستر وبنك داى ايشى بطوكيو ، وايصال رهى وعشرين ورقة مالية من فئة العشرة شلنات ، وبطاقة تصريح مزيفة منسوبة الى شرطة العاصمة •

ووضعت المفتاح ، وايصال الرهن ، والتصريح المزيف وأوراق البنكنوت فى جيبى ، وأودعت سائر المحتويات الأخرى فى مظروف جديد • وتوجهت الى صندوق للبريد حيث القيت بهذا المظروف ليعاد الى نفس العنوان . ثم أوقفت سيارة أجرة أقلتنى الى أحد بنوك المدينة حيث تقدمنى كبير الكتاب الى القبو . وهناك قصدت الى صندوق الأمانات الذى فتحته بالمفتاح الذى معى وأخرجت منه بضعة أوراق بنكنوت من فئة الخمسة جنيهات . وكان الكاتب قد تركنى بمفردى . وعندئذ أخرجت من تحت الأوراق المالية الأخرى صندوقا من الورق المقوى فضضت أختامه لأستخرج منه مسدسا أوتوماتيكيا عيار ٢٢ ، أسرعت بوضعه فى جيبى ، كما وضعت فى الجيب الآخر بعض الطلقات •

وغادرت البنك متجها الى شارع جاردنر حيث قصدت بنك الرهونات • وهناك دفعت مبلغ ١١ جنيها و ١٣ شلنا وتسلمت حقيبة سفر ، كان بها حلة من الصوف داكنة الاخضرار ، وسروال من القطن ، وثمانية قمصان ، وأربطة عنق ، وجوارب ، وملابس داخلية ، وزوجان من الأحذية • كما كان بجيوب الحقيبة الجانبية امواس للحلاقة ، وماكينة وكريم حلاقة ، ومشط ، ومعطف من البلاستيك • ومظواة ، وبوصلة ، وتحت بطانة الحلة اخفيت اوراق بنكنوت من فئات مختلفة • كما وجدت مفتاحا آخر لصندوق ايداع آخر • وكان هذا ايضا بمثابة بوليصة تامين جاسوسية •

وحجزت لى غرفة بفندق قريب من ميدان بدفورد . ثم توجهت لمقابلة تشارلى بطريق توتنهام كورت • ووجدته فى الساعة المحددة كما هى عادته دائما ، حيث كانت الساعة ١٢و٧ ظهرا . وخلعت معطفى

الواقى من المطر وسلمته له ، وأخرجت معطفى البلاستيك من جيبى ، وأخبرته بأننى تركت مفتاح مسكنه بغرفتى بالفندق . وأوصانى خيرا بنفسى ، ورجانى أكثر من مرة أن أتصل به اذا ما كنت بحاجـــة الى معونته متى شئت .

وتركت تشارلى مودعا . وتوجهت الى شـــارع شفتزبرى ، حيث دلفت الى بناية كتب على بابها بالاحرف البارزة « مكتب ووترمان لوكالة البوليس السرى العالمية . » ودخلت لأجد مخبرا خاصـــا جالسا الى مكتبه . ورأيت من عينيه أنه ساءه ألا أستأذن فى الدخول ، ولكنه لم يواجهنى بذلك خشية أن يفقدنى كعميل . وجلست دون أن يأذن لى بذلك ، فبادرنى قائلا وقد بدا ممتعضا ،« هل من خدمة أؤديها ؟ » . وأجبته بأننى فى مأزق حرج لا أحسد عليه . وأن مشكلتى عائلية بالغة التعقيد .

وادليت اليه بما شئت من روايات عن زوجتى والرجـــل الآخر الذى دخل الى حياتنا وأفسدها . واتفقنا على الأجر المناسب ، وعلى ما يجب أن يتبع .

وعدت الى مسكن تشارلى فى الســـاعة ١٠و٥ مســـاء . ودخلت من باب المبنى الرئيسى . وما أن بلغت منتصف الدرج حتى سمعت صوتا توقفت على اثره أرهف السمع وانصت . وانى لأدرك الآن أنه كان على أن أعود أدراجى وأغادر المبنى ، بل وقـد تبادر هـذا الى ذهنى . ولكننى لم افعل هذا ، بل واصلت ارتقائى الدرج صـــوب المرأة التى سمعتها تنتحب .

ودخلت لأرى عجبا . كان كل شىء فى الشقة مقلوبا رأسا على عقب ، مبعثرا هنا وهناك ، من ملابس الى كتب الى صحاف محطمة ـ وفى كلمة كان المكان أشبه شىء بميدان معركة . وبين ما وقع عليه نظرى من هذه الاشياء وغيرها ، رأيت تشـــارلى يرقد جثة هامدة ، حيث ادركت ذلك لأول وهلة . والى جانبه وجدت قدح القهـوة الذى كان يعتز به محطما متناثر الشظايا ، وكأنه لم يرض بأن يستعمله أحد

غير صاحبة . واخرجت من جيب تشارلى حافظة نقـــوده ، لكى ازود الشرطة بدافع على الجريمة عند عدم العثور عليها . وما أن انتصبت قائما ، حتى وجدتنى وجها لوجه أمام امرأة لا تتجاوز الثلاثين من عمرها ، لا يسر مرآها الناظرين بعينيها الغائرتين فى وجهها الشاحب ووقفنا حوالى الدقيقة نتبادل نظرات التحدى والاستفسار ، وودت لو اخبرتها بأننى وان كنت لم أقتل تشارلى ، فانها يجب ألا ... ولكن كيف كنت أبدأ ؟ فوليت وجهى شطر الدرج بأقصى ما فى وسعى من سرعة .

وهكذا تزداد الدائرة ضيقا ، وكانى لم يكن لينقصنى هـــذا المأزق . ان الشرطة ستحصل من المرأة على أوصافى ، وسيجد رجالها فى أثرى .ان منظمة دالبى هى الجهة الوحيدة التى يمكن أن تساعدنى بما لها من سلطان ونفوذ .

وقفزت الى أوتوبيس من ميدان كامبردج ، وغادرته فى ميـــدان بيكاديللى ، واســتوقفت عربة ذهبت بى الى الريتز ، ومنــه اســتدرت سيرا على الأقــدام شرقا فى اتجاه بيكاديللى . ومن هنــاك اتجهت بعربة أخرى صوب شركة تأجير الســـيارات فى نابتزبريدج . وكانت الساعة لم تتجاوز الخامسة وخمسا وعشرين دقيقة .

واستأجرت سيارة أوستن ٧ ، الوحيدة التى كانت مزودة براديو . واستعملت رخصة قيادة تشارلى التى وجدتها بحافظة نقوده . وكان هذا منى مخاطرة غير مأمونة العواقب ، اذا ما ذاع نبأ مقتل تشارلى ونشرت صورته بالصحف . وأدرت الراديو لأستمع الى أخبار الساعة السادسة . ولم يكن بها ما يستحق الذكر ، أو يتصل بما يعنينى .

وانطلقت بسيارتى من طريق الى طريق ، ومن ميدان الى آخـر ، وكانت وجهتى منزل دالبى . وقبل أن أصل الى فندق تيودور بحـوالى المائة ياردة ، أضأت النور الكشاف ، وتلقيت الاجابة على اشارتى من السيارة الفورد انجليا التى كانت تقف أمامه . وبعد أن تجاوزتهـا ،

تأملت المرآة العاكسة للطريق الخلفى ، لأرى مستر ووترمان ينطلق بسيارته خلف سيارتى .

وكان قد سبق لى زيارة دالبى بمنزله نهارا . وهو يقيم فى بيت صغير دن الحجارة ، يبعد عن الطريق الى الداخل بمسافة طويلة . وتوجت الى اليمين فى الدرب الموصل الى المنزل . وتوقف ووترمان عند الجانب الآخر من الطريق . وكانت الامطار تتساقط رذاذا . وغادرت السيارة دون أن أغلق أبوابها ، وتركت مفاتيحها فى « الدواسة » . وظل ووترمان قابعا فى سيارته . وكانت الساعة قد بلغت السابعة مساء ، فتملكنى لأستمع الى الاذاعة . غير أنه لم يرد بها ذكر لحادث مقتل تشارلى .

وواصلت طريقى الى المنزل على قدمى . وطرقت الباب بمقبض من نحاس فى صورة رأس الاسد . وفتح دالبى الباب ، وحاول أن يكسو وجهه بامارات الدهشة والمفاجأة ، قائلا :

ـ أما زالت الامطار متساقطة ؟ تفضل بالدخول .

وجلست على الاريكة الكبيرة ، بالقرب من المدفأة أنعم بنيرانها التى تلقى بظلالها بين قدمى . ورحت أراقب دالبى بما يتفق مع ما يساور نفسى من شك . وقدم الى مشروبا تقبلته دون تردد . ثم ترك الغرفة لاحضار بعض الشطائر ، الامر الذى لم أدخله فى اعتبارى ، لأننى لم أكن أريد ان أترك لدالبى فرصة للتفكير أو للغياب عن نظرى . اذ قدرت أن بوسعه أن يتصل تليفونيا بجهة ما أو أن يعود حاملا مسدسا أو أى شىء من هذا القبيل .. ولكنه عاد أدراجه يحمل شطائر اللحم البارد . وكنت أشعر بالجوع ، فشربت وأكلت . وأخيرا قلت له :

ـ لقد كنت مسجونا .

ـ لست بحاجة لأن تخبرنى بهذا .

ـ هل كنت تعلم ؟

ـ انه جاى . لقد حاول ان يبيعك لنا بالتالى .

ـ ولماذا لم تضبطه متلبسا ؟ لماذا لم تقبض عليه ؟

ـ انك تعرف جاى • انه صعب المراس لا يسهل الايقاع به • ومهما يكن من أمر فاننا لم نرد أن نخـــاطر بك أو نعـــرض حياتك للخطر •

ولم أعقب بشىء • فاستطرد قائلا :

ـ كان يريد أربعين ألف جنيه فدية لك • ونعتقد أنه قد يتمكن من تشيكو أيضا • ان هناك من يعمل لحسابه فى الادارة الطبيةللولايات المتحدة • وذاك كان ســـبيل تمـكنه منك فى توكوى • ان الامر بالغ الخطورة • وكان من الممكن أن ينتهى الى أسوأ من ذلك •

ـ لقد كادوا أن يقضوا على حياتى •

ـ لم أكن قلقا عليك • لقد كنت مطمئنا الى أن شيئا من ذلك لن يحدث • ما كنت أظنهم بقاتلى الاوزة التى تبيض لهم ذهبا •

ـ هكذا ؟ وهل كنت هناك لترى ما يقلقك الى آخر ••••

ـ ألم تر تشيكو هناك ؟

ـ كلا • لقد كان هذا مما خفف عنى وطأة ما كنت أعانيه •

ـ هل لك فى مشروب آخر ؟

ـ كلا • اننى أريد أن انصرف لعملى • اريد مفاتيح المكتب •

ـ اننى ألح فى أن تمكث معنا لتناول العشاء •

فاعتذرت شاكرا • وتبادلنا حديثا وديا • وكنت لا افتأ أردد فى ذهنى أن تشـــارلى قد قضى نحبه ، وأن دالبى اما أن يكون قد علـم بذلك وتجاهل الأمر ، أم أنه لا يعلم به فعلا • وبينما كنت افكر فى اخباره بالامر ، كان دالبى قد أخرج من خزانة بالحائط ملفين يتضمنان ما يدفع للعملاء فى بلاد أمريكا الجنوبية •

وسلمنى دالبى الملفين مع المفاتيح ، ووعدته باتخاذ اللازم فى الملفين قبل الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى • وكانت الساعة قد بلغت الثامنة الا عشر دقائق مساء وكنت متلهفا على الانصراف ، حيث أننى كنت قد اتفقت مع ووترمان على أن يلحق بى بعد ساعة • فنهضت مستأذنا

فى الانصراف دون أن اذكر شيئا عن تشارلى كافنديش • واستقر رايى على تأجيل الحديث فى هذا الموضوع ، عندما نكون بالمكتب •

وبينما كنت فى طريقى الى السيارة ، دار بخلدى أننى قد يقبض على بتهمة القتل قبل صباح الغد • وفكرت فى أن أعود أدراجى وأقول لدالبى « لقد نسيت أن أخبرك بأننى متهم بجريمة قتل » •

وواصلت طـــريقى الى السيارة الاوستن التى انطلقت بها وتبعنى ووترمان ، حتى توقفنا عند جلوارنج أول ، وغادرت سيارتى الى حيث يقف بسيارته وسلمته المبلغ المتفق عليه نقدا • فقال لى :

ـ لقد سار كل شىء على ما يرام • لقد خيل الى أن الأمور ستتعقد عندما رأيت الرجل الصينى الضخم يطل من النافذة •
ـ مهلا • رجل صينى ؟ هل أنت واثق مما تقول •
ـ واثق مما أقول ؟ ماذا تظننى يا رجل ؟

واحتللت المقعد المجاور له فى سيارته ، وسألته أن يعيد على مسامعى سرد كل ملاحظاته تفصيلا • وبعد أن استمعت اليه فى اصغاء تام • قلت له :

ـ سنعود أدراجنا الى هذا المنزل فورا •
ـ لن أعود معك • لقد قمت بما كلفت به •
ـ سأنقدك أجرا اضافيا • سأدفع لك أتعابا أخرى •
ـ استمع الى • لقد كنت هناك فعلا ، وفرغت مما كنت تريد •
ـ كلا • انى عائد أدراجى سواء جئت معى أم رفضت وقد لايستغرق ذلك منى أكثر من مجرد التطلع عبر النافذة •
ـ ليس لهذا أى اتصال بزوجتك • وما أظن أن الأمر كما صورته لى • لقد أدركت ذلك لأول وهلة •
ـ فليكن • ولكننى وفيت بتعهدى • اننى من القسم المخصوص ببرايتون •

واطلعته على بطاقتى المزيفة • وساعدنى الليل على الا يتبين منهـا غير ظاهرها • فقال لى مندهشا :

ـ عجبا ! أنت من رجال الشرطة • انك لا تبدو كذلك • .

ولكننى عدت لأؤكد له زعمى ، حتى أصبح بين الشك واليقين من حقيقة امرى • ولما وثقت من ذلك قلت له :

ـ انها قضية هامة وأريد أن تساعدنى •

لماذا لم تستعن بأحد الكونستبلات من مساعديك ؟

ـ لم يكن هذا ممكنا ، لأننا خارج منطقة اختصاصنا •

اننى أقوم بهذه المهمة بناء على تفويض خاص •

ـ هل هى مهمة سليمة ؟ فلست أود لنفسى أن أورط فى عمل غير قانونى •

وأخيرا ، وبعد أخذ ورد بيننا ، وافق على مرافقتى فى مقابل أجـر آخر • وعدنا أدراجنا بسـيارته الخاصة ، بعـد أن التقطت الملفين من سيارتى ، وأودعتهما المقعد الخلفى لسيارة ووترمان •

ـ ٢٩ ـ

وتقدمنا من المنزل على مهل ، بعد أن توقفنا بسيارتنا بعيدا • وكان الظلام حالكا ، الا من خصلات الضوء المتسربة من النافذة • واقتربت على أطراف أصابعى من نافذة الغرفة التى استقبلنى بها دالبى من قبل • ورايته يصب لنفسـه كاسا من الويسـكى ، وأمامه مورای جالسـا على الأريكة التى كنت أجلس عليها منذ قليل • وكانا يتبادلان الحديث مع شخص ثالث لم أستطع رؤيته لأنه كان خارج نطاق زاوية ابصارى • وساعدتنى الظروف بعد برهة ليدخل هذا الثالث داخل نطاق الرؤية ، عندما نهض ليتناول كأسه من دالبى • ولم يكن هذا الرجل غير كوبلاى خان بلحمه ودمه • وما أظنه الا الصينى الذى رآه ووتر مان يطل من

النافذة فى زيارتنا الأولى • وكدت ان اكتفى بما رايت ، لولا اننى لاحظت انهم كانوا يتجهون بحديثهم الى شـــخص رابع عبر الغـرفة • وتمنيت لو تحرك ليدخل فى منطقة الرؤية • وكان أن خدمنى الحظ بتحركه لأرى انه لم يكن غير صاحبنا جاى •

واستبدت بى مشاعر جمة ، وتملكتنى الدهشة ، حتى اننى كدت أن اتعثر وافقد توازنى • ياالله ؟ انه جاى أمير الشر يتبادل الحديث مع رئيس ادارتنا وفى بيته • اننى عاجز عن تصوير ما أحدثه هذا المشهد من تأثير فى نفسى • لقد كان هذا أعمق أثرا مما قد ينتابنى من مشاعر وفكر ، اذا ما رايت مستر ماكميلان يسقط بطاقة عضوية الحزب الشيوعى من حافظته • ووقفت أراقب المشهد أمامى وأتتبع شخصياته كصبى صغير فى تتبعه لمشاهد سيرك عجيب • ان رؤيتى لموراى لم تدهشنى كثـيرا • ثم كانت رؤيتى لكوبلاى خان فأثارت دهشتى • اما أن ارى جاى ضمن شخصيات هـــذا المشـــهد ، فكان أكثر مما يمكن ان تحتمله مشـاعرى واعصابى • ولم ادر كم من الزمن مر بى فى وقفتى هذه •

وعدت أدراجى يتبعنى ووترمان ، وأنا مطرق الرأس أفكر فيما رأيت وشاهدت • وعادت الى ذهنى ذكرى حديث بينى وبين دالبى قال لى فيه : « اننا نتحرك من طرفين متقابلين صوب غاية واحدة » • وتذكرت الرجلين اللذين رايتهما عبر شارع مطعم تيرازا ، واللذين سرعان ما اختفيا عن ناظرى فى تيار المرور المزدحم بعد مغادرتهما لسيارة اجرة ، وايقنت بأنهما كانا جاى ودالبى •

وكنت أسير بصعوبة أتلمس طريقى فى الظلام ، بعد أن أعميت عينى لحظات التحديق فى الغرفة المضاءة وما يجرى بها • ولم أشعر الا بيـد تمتد الى من هذا الظلام لتطبق على فمى تمنعنى من الصياح ، وبيد أخرى تهددنى بشىء معدنى فى ظهرى • وسمعت صوتا يهمس فى اذنى قائلا :

ـ انه انا يا سيدى • أنا موراى •

يا له من موقف مناسب للرسميات • « ياسيدى » لله درهم • وتذكرت رافن الذى قمنا باختطافه بالقرب من الحدود السورية ، وكيف

دهشت عندما سمعت دالبى يقول له وهو يحقنه : « آسف يا سيدى » . لعل « سيدى » هذه هى الكلمة التى لا يجدون عنها بديلا فى توجيه الخطاب الى ضحاياهم . واستطرد مورای قائلا :

ـ سأرفع عنك يدى الآن يا سيدى . لا تصرخ والا هلكنا معا .

وكنت أريد أن أومىء برأسى موافقة . ولكن مورای أساء فهم حركتى هذه ، فاشتدت قبضتا يديه على فمى وذراعى . ترى أين أنت يا ووترمان ؟ أين أنت لتتقاضى باقى أتعابك ؟ ولكننى لم أجد له اثرا . وبعد أن ابتعدنا عن المنزل ، رفع مورای يديه عنى . وبدأ حديثه قائلا :

ـ لقد وطأت بقدميك أسلاك الانذار الداخلية .

ـ ما كنت أتصور أنها ممتدة الى هذا الحد .

ـ يتعين على أن أعود فورا الى المنزل ، لكن .. »

ثم تردد فى مواصلة ما كان بسبيل أن يتحدث به الى وكان هناك الكثير مما أريد أن أعرفه . ولم يكن الموقف ليسمح باعتراف مطول . ولكننى اقتربت منه هامسا : « استمع الى يا مورای . مهما يكن من أمر ما يجرى ، فانك لتعرف تماما أن كل هؤلاء يقعون تحت طائلة عقاب الخيانة العظمى . فاذا ما عملت بما أقوله لك ، وتصرفت بناء على اوامرى نجوت مما سيتعرضون له . والا ، فانك ستصبح عدوا لحكومة صاحبة الجلالة » . وأطرق مورای لحظة فى صمت . واستطردت قائلا : « الست ترى بعينيك يا رجل ؟ لقد باع دالبى نفسه للشيطان . أم لعله كان عميلا ذا وجهين من سنوات مضت . ان مهمتى كانت فى التأكد من هذه المعلومات . اننى من وكل اليه اماطة اللثام عن حقيقة ما يجرى وما يقال. اننى أهيىء الفرصة لك يا مورای ، لأننى أعرف أنك لم تتورط بعد الى الحد الذى تورط فيه غيرك . هيا معى لنعمل معا على تجميع هذه الحقائق . ان أمرهم قد انكشف وعرف مصيرهم . لئن اتبعت نصحى فانك لن تندم » . وتوقفت . وقد خيل الى أن قصتى قد أنتجت اثرها. ولكننى سمعته يقول :

ـ انْ اسمى هو هاريمان • ورتبتى ليفتنانت كولونيل فى المخابرات العسكرية الخاصة • وانت من يجب أن يطيع أوامرى فى الوقت الحاضر•

وكان صوته مختلفا عن صوت الجاويش مورای ، كما كانت لهجته غير ما ألفته منه • ثم استطرد قائلا :

ـ اننى لآسف لما صادفته وتعرضت له • ولكنك يجب أن تسرع بالانصراف من هذا المكان فورا • ان وضع يدنا على دالبى لن يكون كل شىء ••• »

وفى هذه اللحظة بالذات ، تلقى الرجل من ووترمان لطمة على رأسه « بالمفتاح الانجليزى » ، فسقط لا حراك به • وتأملت مورای أو هاريمان أو من عساه أن يكون ، وعرفت ما يجب أن أفعله فورا • ان على أن أسرع بالانصراف من هذا المكان كما قال لى ، وأتركه فاقد الوعى لدالبى وشركائه يتولون أمره • وكان ووترمان فخورا بما قام به ، مرددا سؤاله لى عما اذا كان لم يحسن صنعا ، وكنت أجيبه شارد الذهن •

وبينما كنا نستقل السيارة تأهبا لرحلة العودة التى لن تقل عن الساعتين زمنا ، رأينا الباب الامامى للمنزل يفتح ، بينما وقفت امامه السيارة الرولز الكبيرة التى خرج دالبى والذى انطلق بها فى الطريق الى لندن • وقلت لووترمان ، عليك أن تلحق بهذه السيارة لأننى أريد أن ارى وجه سائقها •

وما أن بلغنا من الطريق منحنى ميلفورد ، حتى أتاحت لى أضواء المصابيح الكهربائية بالشارع فرصة تأمل السيارة الرولز الفخـــرة التى لا ينتج مثلها السادة رولز ـ رويس الا للملوك ورؤساء الدول • السيارة المجهزة بكل وسائل الترف والراحة • هذه السيارة كان يستقلها جاى ، فى اطمئنان ودعة ، دون أن يتجاوز بها سرعة ٤٥ ميلا ، لأنه لم يكن فى عجلة من أمره •

- ٣٠ -

وتقدمتنا السيارة الرولز حتى انحرفت من طريق كرومويل الى حى برومبتون ، حيث القصور الفيكتورية المشيدة منذ عام ١٨٥١ ، والتى كانت تطل علينا من حالق مجدها • وتوقفنا بعيدا عن سيارة جاى ، وأسرعنا بمغادرتها فى هدوء ، واقتربنا من المبنى الذى دخل اليه جاى من بابه الأمامى • وكان المبنى قطعة فنية من الذوق المعاصر ، بأبوابه الخشبية ونوافذه المسدل عليها الستائر المعدنية • واقترب ووترمان من لافتة الاسماء المتضمنة ساكنى البناية ، ولحقت به أطلع عليها •

وسمعنا من يقول لنا ، «يمكنكما الدخول الآن» ، وفتح الرجل الباب الامامى بمفتاح كان معه • ولمحنا رجلين آخرين يقفان خلفنا ، فآثرنا ان ندخل ونصدع بما أمرنا ، وبالذات بعد أن لمع فى يد كل منهما مسدس أوتوماتيكى صغير من طراز بريتا ٣٤ •

وضغط الرجل الاول أحد الازرار الكهربائية ، ثم تحدث فى الميكروفون الداخلى قائلا : « انهما اثنان • وقد يكون احدهما من رجال الشرطة » • اذن فقد كانوا يتعقبوننا ويراقبون حركاتنا • وبعد ذلك سمعت صوت جاى قائلا : « ضعوهما تحت كاشف الاسرار ، ثم ائت بهما الى يا موريس » • وتأملت ووترمان لأرى علامات الخيبة وقد اكتست بها ملامح وجهه • اننا لم نكن بأكثر من غافلين ساذجين ، تعقبهما الغير طوال الطريق ؟ كان يجب أن نكون أكثر يقظة وحذرا ، وكان من البديهى أن نتوقع من هذا الاتصال بين دالبى وجاى الكثير • وتساءلت عما اذا كان دالبى قد اتصل بجاى تليفونيا ليخطره بأمر موراى ، الذى عثر عليه فاقد الوعى بحوض الزهور •

وكانت جدران البهو مغطاة بالمرايا السوداء • وأوقفونا تجاه المرآة الكبيرة • وجردنى موريس من سلاحى • وكان شديد الحذر فى كل حركاته ، مما يدل على انه يتقن عمله ويدرك ما يجب عليه ان يقوم به • ثم اقتادونا الى الطابق الاعلى •

وأدخلنا الى غرفة الجلوس الفاخرة الاثاث • ورايت فى الطـرف الآخر منها ، منضدة من الرخام الاسود متوسطة الارتفاع ، تحيط بهـا مقاعد كبيرة من الجلد الاسود ، تواجه جهاز تليفزيون يناسب فخامة الحجرة وأثاثها •

وسمعت صوت جاى المدوى من الباب المفتوح ، يدعونا للجلوس • ورأيت حراسنا الثلاثة ينسحبون كما ينسحب الممثلون خلف ســـتار المسرح ، وان كنت واثقا من أنهم لن يبتعدوا عنا كثيرا •

وقلت بصوت مرتفع موجها الكلام لجاى الذى لم أكن قد رأيتـه بعد : « هذا مستر ووترمان • من وكالة شرطة ووترمان السرية • لقد استأجرته بعد ظهر اليوم » • ولما لم أسمع ردا أو تعقيبا ، ضاعفت من ارتفاع نبرات صوتى ، كمن يخاطب أصما لا يسمع بسهولة : «أظن أننا لا نريد شيئا من ووترمان بعـــد • ولا مانع من أن ينصرف الى منزله » •

وبعد فترة صمت سمعت صـــوت جاى قائلا : « هل أنت مدين لمستر ووترمان بشىء ؟ »

ـ خمسة عشر جنيها •

وسمعت أزيزا خافتا ، ودخل بعده موريس ، ووقف ساكنا حتى سمعنا صوت جاى يصدر تعليماته قائلا : « موريس • بعـــد أن يتسلم مستر ووترمان شيكا بمبلغ خمسة عشر جنيهـــا ، دعه ينصرف » • وانصرف مستر ووترمان مغادرا الغرفة بعد أن ودعته •

وكنت أريد أن أرى ماذا يفعل جاى فى مكانه الذى يوجه الينـا الخطاب منه • وكنت أسمع خطواته فى الغرفة الصغيرة الملحقة بالغرفة التى أقف بها ، ولا يفصلهما باب موصد • وخطوت نحو هذا الباب لأرى ماذا يفعل • ولم أكن لأتوقع أن أجده جالسا الى منضدة مطبخ ، منهمكا فيما كان يعد ويجهز • قال لى :

ـ هل أنت ممن يحبون الطهو ؟

ـ قد أصبح كذلك •

ـ هذا أفضل •

ـ الم يكن لاروتسى هو الذى قال ما معناه « ان حكم الامبراطورية كطهو سمكة صغيرة » ؟

ـ وعلى حد قول مونتانى « ان عظماء الرجال يفاخرون بقدرتهم على حسن اعدادهم لسمكة توضع على مائدتهم » .

ـ وهل كان يعنى بهذا ، أن اعدادهم لهذه السمكة يعنى ضمنا زيادة فى التكريم والمجاملة للضيوف ؟

ولم يعقب جاى بشىء . بل قدم لى كأسا من الشمبانيا المثلجة . وبعد قليل سمعته يقول لى ، دون أن يرفع عينيه عما كان بين يديه :

ـ انك شاب هادىء بارد الطبع . ألا يعنيك شىء من أمر صديقك كافنديش ؟

ولما لم اعقب بشىء ، حدجنى بعينيه الدقيقتين مستطردا :

ـ اننى أدير عملا كبيرا .

ـ اعرف ذلك .

ـ انه أكبر وأضخم مما تعرف وتتصور . ان تاجر السمك يبيع سمكا ، وتاجر الخمور يبيع شمبانيا ، والفرنسيون لا يعارضون فى ان تباع خمورهم خارج فرنسا . أليس هذا هو الواقع ؟

ـ بلى . ذاك هو واقع الامر .

ـ وانت .. وانت تبيع الولاء .. وانا لا أفعل شيئا من هـذا القبيل ، وما كان لى ان أفعله .. اننى أبيع الناس .. »

ـ مثل ايخمان ؟

ـ لست احب هذا الاسلوب من المزاح . اننى أتعامل فى هـذا الطراز من الرجال الموهـوبين الذين يغيرون من يستخدمهم بمحض ارادتهم » .

اذن فهذا هو جاى . هذا هو ايخلهاور باسمه الالمانى الذى يتسمى بجاى . فقلت له معقبا :

ـ انك كشاف موهوب للكشف عن المواهب لحساب الكرملين ؟

والتزم جاى جانب الصمت ، ولعله كان يفكر فيما سمعه منى .

وقطع علينا حبل السكون المخيم ، رنين آلة التليفون الموجـــودة بالمطبخ • ورفع السماعة قائلا بعد أن استمع لمن يتحدث اليه : « دعه يتصل بى » • وبعد قليل واصل حديثه : « يمكنك أن تقـــول اننى بالمنزل • اننى لن أتفوه بكلمة ، يا صديقى • عليك بالمضى فيما اتفقنا عليه • أجل • هذا حسن • شكرا » •

وبعد أن أشعلت سيجارة ، قررت أن أبدأ الحديث قائلا :

ـ ألم يحن الوقت بعد لنتحدث عن صلب الموضوع ؟

ـ عن ماذا ؟

ـ عن هذا السجين الذى هربت منه •

ـ أو تعتقد أن لى يدا فى ذلك ؟

وعندئذ أقبل موريس بوثيقة قدمها الى جاى • وحاول أن أتبـين شيئا عن مضمونها ، فتعذر على هذا • وكل ما استطعت أن أتبينه منها أنها صفحة من الورق بها حوالى ٥٠ كلمة محـــررة بالآلة الكاتبة • وانصرف موريس ، وتبعت جاى الى غرفة الجلوس ، حيث جلس عنـد ركن التليفزيون قائلا :

ـ هل أساءوا معاملتك فى وود جرين ؟

ـ اننى لم أستطع أن أتحمل أكثر مما تحملته •

ـ هل كان ما تعرضت له قاسيا الى هذا الحد ؟

ـ اننى وطنت نفسى على التعرض لأسوأ الظروف •

ـ لقد كان هنالك من ألوان العذاب فى القرون الوسطى ما هو أشد تنكيلا • وفى هذا العصر تجاوزت أسلحة الدمار حد المعقول •

ثم اعتدل فى مقعـــده الجلدى الكبير ليســـتطرد بعد أن لاحظ صمتي :

ـ ما أظنك بمصدق أن الدول الشيوعية ستنهار وأن هذا النظام الراسمالى سيواصل سيره قدما • لتكن رجلا موضوعى النظرة ، واســع الخبرة • كن عمليا وأنت تستعرض معى حقيقة الاوضاع السياســـية • نبئنى ، ماذا بوسع الراسمالية أن تقدمه لنا ؟ ان مستعمراتها التى كانت تبيض لها ذهبا ، فى طريقها الى الزوال • فقد تنبهت الاوزة وتعلمت

أين تبيع نتاجها الذهبى • اللهم الا من بعض بلاد قليلة استطاعت فيها حكوماتها الرجعية أن تخمد حركاتها الاشتراكية ، بفضل مساندة القوات الفاشية التى يمدها الغرب بذهبه » •

وتأملنى ليتحقق من مدى تأثير حديثه فى نفسى • ثم استطرد قائلا :

ـ وتلك الدول الرأسمالية نفسها ، ماذا من حقيقة أمرها ؟ اضرابات تلو الاخرى ، وعقول سقيمة لا يعنيها من أمر زملائها فى البشرية شىء ، وفوضى ضاربة أطنابها تتحكم فيها أموال الرشاوى واتجاهات الانانية » •

وفى هذه اللحظة بالذات ، أدار مفتاح الراديو الى اذاعة أنباء وزارة الداخلية ، حيث كان قد حان وقت اذاعتها • وطرق سمعى صوت المذيع معلنا : « ان الشرطة تجد فى البحث عن رجل كان بالقرب من مسرح الجريمة » • وأعقب هذا اذاعة وصف تفصيلى لى • ووجدتنى أقول لجاى :

ـ دعنا من كل هذا • من قتل تشارلى كافنويش ؟

فنهض جاى عن مقعده ، واتجه صوب النافذة يتطلع منها • وأشار الى أن أتبعه الى حيث يقف • وتطلعت من النافذة لأجد سيارتى أجرة تقفان عبر الشارع • ثم قام جاى بتغيير موجة الراديو الى موجة اذاعة الشرطة ، التى علمنا منها بأن قوات الامن تنسق جهودها فى أثرى •

وسمعت جاى قائلا ، ردا على سؤالى :

ـ لقد قتلناه جميعا • أنت وأنا وهم •

وسمعنا أحد الرجال الثلاثة الذين كانوا يقفون فى الناحية الاخرى من الشارع يعلن لمن يوجه اليهم كلامه ، اننى متجه الى هناك فورا • عليكم بمراقبة الاسطح والشوارع الخلفية ، مع احكام حصارها - واقبضوا على كل من تلتقون به فى انتظار أوامر أخرى •

وكان الصوت صوت روس ، ثم عبر الرجال الثلاثة الشارع فى اتجاه المبنى •

واتجه الى التليفون الداخلى قائلا وهو يرفع السماعة :

ـ موريس ، لدينا زوار ٠

ثم ابتسم ابتسامة عريضة قبل أن يستطرد :

ـ دعهم يصعدون ، بعد أن تخبرهم بأننى معتقل فعلا ٠

وفتح موريس باب الغرفة لروس والشرطيين اللذين معه ، وتبادلنا جميعا التحية والمصافحة بالايدى ٠ ولم يسبق لى أن سررت بلقاء روس من قبل ٠ وقام روس بتفتيش جاى الذى نقل الى كارشلتون ، المبنى التابع لادارة روس والمستعمل فى أغراض غير معلومة ٠ ولما أقبل جاى ليودعنى ، لاحظت أنه ارتدى حلة رمادية من صوف الموهير الفاخر ٠

وبعد أن سكنت الحركة وهدأت العاصفة ، قال لى روس فى لهجة رقيقة ، بخلاف ما ألفت منه : « والآن ، أظن أنك حصلت على ما يجب ألا تنتظر بعد شيئا ، وما لا يحتمل تلكؤ أو انتظار » ٠

وسرت به الى المطبخ قائلا : « هذا الطعام يجب أن يؤكل ساخنا »

فضحك روس قائلا : « أو كنت تتردد على هذا المكان ؟ »

فأجبته قائلا : « أجل ٠ فقد كانت لى سابق معرفة بالطاهى »

كان الليل قد انتصف ، عندما وصلت الى مكتبى بشارع تارلوت وكان المكان أشبه شىء بخلية نحل نشاطا وحركة ٠ وبعد أن سلمت أليس قائمة بالاسماء ، غادرت الغرفة لتتركنى مع جـــين التى انتهزت الفرصة لأفسد زينتها وأحمر شفتيها ٠

وكانوا قد ذهبوا بكل من ألقى القبض عليه الى كارشلتون ، ورؤى أنه يحسن ايداعهم فى معتقلات انفرادية ، للمصلحة العامة ٠ وقامت الدنيا وقعدت ، وحددت الساعة السادسة صباحا لعقد اجتماع فى مقر شرطة اســـكتلنديارد ٠ وكان رجال الشرطة فى أشـــد حالات القلق والاضطراب ٠ غير أن الساعة ما وافت الثامنة صباحا ، حتى بدأت الامور أن تنجلى وتتخطى مرحلتها الخطرة ٠ وكان موارى قد تمكن من اعتقال

دالبى بعد أن استعاد وعيه • وقد اتصل بنا فى الساعة الثامنة و ٩ دقائق صباحا ، من ليبهوك ، ليخطرنا بأنه ألقى القبض على رجل يدعى سوينسون ، ويسألنا أن نبعث بسيارة لاحضاره • ولاح لى أن سوينسون هذا ، هو الاسم الحقيقى لكوبلاى خان • وأمرت بقيام السيارة ، التى انتقلنا بها ، أنا وجين لتناول طعام أفطارنا •

وقالت لى جين ، ونحن جلوس الى مائدة الافطار بالمطعم ، « يالها من خطة • اننى لا أكاد أن أصدق شيئا مما جرى » •

ـ بل صدقى • وصدقى أيضا أننا لم نقتلع الشر من جذوره ! ولست أدرى أى الخطتين كان أكثر اثارة للدهشة ، دالبى الذى يعمل لحساب الآخرين • أم روس الذى سيطر على العملية التى أحكمت تضييق الخناق عليه ، وتمكنت من الايقاع به •

ـ وهل كان روس على علم بذلك عندما وافق على نقلك الى المنظمة التى يرأسها دالبى ؟

ـ لم يكن واثقا مما يجرى أو مما بقال • وهذا هو السبب فى تكليفه مورای بالتجسس على ما يجرى • فلما سمع بأمر ما كان فى نادى العرايا وتعرض لالقاء القبض على ، ترك دالبى يفهم أنه يشك فى أمره• وتلك مخاطرة لا شك فيها • ولكنها كانت مخاطرة أنتجت أثرها ، عندما حفزت دالبى على أن يثبت اخلاصه ، بالتفانى فى عملية خطف رافن فى لبنان • وانى لأذكر الآن اننى رأيت روس فى المطار عند عودته من بيروت عقب لقائه بدالبى • أما الى أى مدى كان سلوك دالبى معارضا لرغبات جاى ، فهذا ما لن نستطيع له تحديدا ، لأن دالبى تعمد أن يقضى على كل من كان فى السيارة مع رافن كما تعلمين •

ـ اذن فلم يكن كارسويل بهذه الدرجة من الحمق التى كان يبدو بها ؟

ـ كلا . لقد كان أعمق من هذا غورا وأكثر حذقا . وما أن خشى روس على حياته ، حتى عمل على اخفائه فى مكان ما ، حتى أننى لم أعرف له مستقرا ولم يستطع تشارلى أن يهتدى اليه .

ـ اذا ما افترضنا أن جاى لن يعترف بشىء ، فقد يقوم كارسويل

بتقديم الأدلة عما وصلت اليه عملية « ابكريس » . وبالمناسبة ، هل « ابكريس » هذا شخصية اسطورية اغريقية ؟

ـ كلا . انها كلمة من ابتكار أحد رجال روس ، تعكس الحروف الاولى من جملة طويلة تعنى وصفا طبيا لما كانت هذه الجماعة ترتكبه بالمنزل رقم ٤٢ .

ـ ماذا فعلوا بك فى وود جرين .

ـ ان تنظيمهم لهذا الامر ، يدل عـــلى مدى ما بلغتـــه عقليتهم الشريرة من تدبير واحكام . وهـؤلاء القوم المارقون يعمـــلون على ان يفقدوا الرجل الاحساس بوجوده والشعور بذاته . وانهم ليتحـايلون حتى يجعلوا من المكان اقليما آخر بحـــرارته وبرودته . وهم يدأبون على الحاق الأذى بمن يقع تحت أيديهم ويضيقون عليه الخناق حتى يضيق بذاته كله ، ويعمدون الى حرمانه من كل شىء حتى من النـوم حتى يفقد التحكم فى أعصابه ويصير ألعوبة وأداة طيعة بين أيديهم . وهم لا يتورعون على أن يزيفوا شخصيات السفراء وضباط الجيش فى دولة أخرى ، الى هذه الحيل التى تؤتى ثمارها لدى شخص بلغ هذا الحد من الانهيار والضعف .

ـ ترى ماذا كانوا سيفعلون بك لو لم يتيسر لك سبيل الهرب ؟

ـ الهرب ؟ لقد كنت أعرف الكثير عن حيلهم هـذه وألاعيبهم حتى استطعت أن أصور لنفسى ما يقترب بى من حقيقة الوضع . ان الكثيرين ممن سبقونى الى هذا السجن قد أدخل فى روعهم أنهم فى بلاد أخرى غير انجلترا . ولم يكن ثمة من جدوى للتفكير فى الهرب من سجن تتخطى جدرانه لتجد نفسك خلف أسوار أمنع من الستار الحديدى ، وفى بلاد تبعد عن وطنك مئات الأميال . ومن هنا كان من العبث أن يفكر المرء فى الهرب ، بعد أن يلقى فى روعه هذا . وما كنت لأفكر فى الهرب لو لم أكن قد فطنت لحقيقة الوضع الذى أرادوا أن يشعرونى بغيره ، كما حدث وصارحنى بذلك الضابط المجرى المزعوم فى وجود السكرتير الثالث المزعوم للســفارة البريطانية ، من أننى ما دمت فى المجر ، وأنكرتنى بلدى بريطانيا ، فاننى ســأحاكم طبقا

للقوانين المجرية • ومن هنا كان بدء تفكيرى فى الهرب ، لأننى رجحت أننى لو وفقت ، فسأهبط من جدران السـجن الى أرض بريطانية لأننى لم أتجاوز حى وود جرين والمنزل رقم ٤٢ . منزل الأشباح ان شئت أن تسميه » .

ـ وماذا بعد ؟

ـ ليس من بعد ما هو هام . ثمة بعض تفصيلات عن أساليبهم سأرويها لك كلما تذكرت منها شيئا ، كتلك التى جرت وتعرضت لها فى الجزيرة . غير أنك قد أحطت بما يمكن أن أسميه صلب الموضوع . ولعلك تدركين أننى جد متعب ، وأن مجرد استعادة هذه السـاعات والايام المؤلمة يضاعف من شعورى بالاجهاد . ولا تنسى أن من عمـد ما يقولون عليه هو هذا الاجهاد العقلى والبدنى الذى يصيرون ضحاياهم اليه • انهم يعتمدون فى أساليبهم على وسائل طبية اكلينيكية ، علاوه على الأخرى النفسية . ان العملية أكثر تعقيدا مما قد يخيل اليك ، ومما يمكن ايضاحه فى لقـاء أو اثنين أو أكثر من ذلك . انها عملية متشعبة متجددة النواحى لا تدخر وسعا فى الالتجاء الى كل الوسائل لتحقيق الغاية المنشودة ـ ألا وهى اصلاح الفكر التى يطلقون عليها فى تعبيرهم « غسيل العقول » .

وأمرت لنا بقدحين آخرين من القهوة • ونهضت لأبتـاع نسخة من صحيفة الجارديان . وكانت الصحف قد بدأت تنشر الكثير عن مقتل تشارلى كافنديس • وسمعت جين تقول لى :

ـ سمعت من مورای انه كان صديقا مقربا الى نفسك .

ـ لقد كان صديقا بحق . وكان حريصا على سلامتى .

ـ ومن كان له مصلحة فى قتله ؟ أكان ذلك لأنه كان صـديقك ويعمل على مساعدتك ؟

ـ كلا . إن الامر كان بخلاف ما تظنين . انها مأسـاة . فقد سبق له أن أعارنى بعض الثياب ومن بينها معطف واق من المطر . وبعد أن أصبحت فى غنى عن المعطف أعـدته اليه عندما كنا بمقهى فورتيس . فارتداه فى عودته الى منزله . ومن هنا ترين أن الامر لم

يكن بأكثر من خطأ مؤسف ، نتيجة لأن الجانى اعتقد أنه المقصود بالقتل أى الشخص المكلف بقتله وهو أنا .

ـ ومن الذى دبر قتلك ؟

ـ احد من يعملون لحساب جاى . وسنهتدى اليه .

ـ ألم يكن جاى هو الذى دبر ذلك ؟

ـ كلا . ان هذا لم يكن من تدبيره . بل انه بمجرد أن علم بذلك ، أسرع الى دالبى ، حيث وجدته هناك .

ـ سؤال آخر .

ـ هات ما عندك .

ـ لماذا استسلم جاى بكل سهولة عندما قدم روس لالقاء القبض عليه . ان هذا لم يكن متوقعا منه .

ـ لعله كان يأمل فى مخرج أو كان يعول على مساعدة دالبى له . أم لعله تفسير آخر ستكشف لنا الايام عنه .

ـ هيا بنا نعود أدراجنا قبل أن تثور أليس .

ـ لا عليك منها . اننى رئيس المنظمة .

وعدت لمكتبى لأجد البرقيات قد انهالت من كل حدب وصوب . من واشنطون ومن كلكتاو ومن هونج‌كونج . وقامت أليس باتخاذ اللازم حيالها ، الا من القليل الذى كانت بحاجة الى تلقى ارشاداتى فيه . وكان موارى قد استقل طائرة هيليكوبتر الى جرانتهام التى عاد منها بتشيكو . وبدا عليلا عندما زرته بالمستشفى العسكرى بميلبانك . وعين روس حارسين لتشيكو . وكل ما أدلى به تشيكو من معلومات ، أنه تعرف « على ابن عمه بالفيلم الذى سبق أن عرض علينا فى وزارة الحرب . وأنه بدلا من أن يخبر بذلك روس ، سافر لزيارة هذا الرجل وليس من شك فى أن الرجل كان ضمن عصابة ابكريس .

واتضح لى أن بينتر ، الذى اشـــترك معنا فى عملية اختطاف رافن بلبنان ، لم يكن غير طبيب نفسى له قدره . وأشركته فى غرفة مع كارسويل فى الطابق الاعلى بمبنى شارع شارلوت لعلنا أن نستفيد من معلوماتهما فى حالة فشلنا فى الحصول على اعتراف من جاى .

ولم أستطع أن أقضى ليلة فى نوم هادىء ، الا فى يوم الخميس ، حيث اقتضت الملابسات أن أعول فيما سبق من ليالى على القهـــوة والسجاير والاسبيرين . وما أن سمحت لى الظروف ، حتى تناولت منوما لأحظى بليلة هادئة . ولم أستيقظ الا فى منتصف نهار اليوم التالى . ونهضت لأعد نفسى لمقابلة هامة بوزارة الحرب فى تمام الساعة الثالثة مساء .

ووجدت أليس وروس هنـــاك فى انتظارى . وقدمنى روس الى الشخصية الهامة الذى نعتنى بأننى « بطل الساعة » وقدم الى ســيجارة قام باشعالها . وأردف يشكر ثلاثتنا ـ روس وأليس وأنا . ولكننى أدركت أن ثمة أكثر من مجرد تقديم الشكر لنا ، مبرر لهذا اللقاء . وتأكدت من ذلك ، عندما بدأ الرجل يتحدث قائلا :

« ان مستر روس يتوق الى أن تسمع ذلك منى .. « وحذرت ماكان بسبيل أن يقوله لى . لقد عهد لروس بادارة منظمة شارع شارلوت . ولقد كانت هذه اللحظة المناسبة فعلا بعد كل ما قام به روس فى سبيل القضاء على جماعة « ابكريس » . ولكن الحديث دار دورة أخـــرى ، بخلاف ما خيل الى . ان روس لن يتولى رئاسة منظمتنـــا بشـــارع شارلوت ان الغرض من دعوتى لهذه الزيارة كان لايضاح بعض الامور لى ! أولها ثقتهم التامة فى ، والرغبة فى ازاحة الغبار عن بعض مواقف لروس .

وقد رغبت هذه الشخصية العملية العسكرية ، التى رأيتهـــا فى الصور الفوتوغرافية جنبا الى جنب مع تشرشل وأيزينهاور وغيرهما من علية القـــوم ، فى أن تســمع منى شـــخصيا كيف هـــربت من بيت وودجرين . وسردت على مسامعه كل ما كان من أمرى وكان لا يتمالك نفسه من آن لآخر ، مبديا اعجابه حينا ، ودهشته حينا آخر .

ونهض روس بعد شعوره بانتهاء المقابلة الى الباب يفتحه لتخرج أليس منه ، فانتهزت الفرصة واتكأت على المكتب الفخم قائلا : « متى ستلقون القبض على هنرى ؟ » فأسقط فى يد الرجل العظيم ، ونهض مستديرا حول مكتبه ليلتقى بروس الذى عاد من حيث كان عند الباب، ليشترك معه فى التحديق فى وجهى دهشة وعجبا . وأخيرا قال لى الرجل العسكرى العالى القدر ، مقتربا بوجهه من وجهى ، « كان يجب أن أغضب منك . هل تملى على واجبى فيما يجب على من تعقب أعداء الملكة ؟ »

ـ اننى لا أملى على أحد ما يجب أن يفعل . وانه ليسرنى أن أتبين أنك غضبت لسؤالى .

وفتح العسكرى الكبير أحد أدراج مكتبه ليخرج منه ملفا أخضر مكتوبا على غلافه اسم « هنرى » ، يحوى كل ما جمع من معلومات عن الرجل الذى تحدث تليفونيا الى جاى عندما كنا بالمطبخ . وكان بالملف مذكرة بخط يد رئيس الوزراء ، والتقرير المقدم منى ، وتقرير مطول من روس . وبعد أن فرغ الرجل العظيم من اطلاعى على ما بالملف قال :

ـ اننا لا نقل عن غيرنا رغبة فى الانتهاء من هذا الموضوع واقتلاعه من جذوره . غير أن ما تحت أيدينا من أدلة لا يمكننا من ذلك ، كما ترى .

ـ مع احترامى لشخصك ياسيدى ، اسمح لى أن أقترح تسليم هذا الملف لذوى الشأن . ان هذا التقرير المقدم منى كان مرفوعا لمجلس الوزراء . ولم يكن من حقك أو من حق الكولونيل روس أن تفردا له ملفا ، أو تعلقا عليه . ان دائرة نشاط المذكور لا تتجاوز نطاق مجلس الوزراء . اننى سأتسلم منك هذا الملف الخطير الآن ، راجيا أن تعتبر كل ما ورد به من الاسرار العليا ، أسرار القمة يا سيدى » .

ولم يكن هذا منى عن شك فى نوايا الرجل العسكرى العالى القدر، ولا خشية أن يحمى « هنرى » ، ولكننى كنت أرمى بذلك أن يوضع الملف بين يد من يعمل باخلاص على استيفائه .

ولم يعارض الرجل العظيم اقتراحى ، بل سلمنى الملف ، مع كاس من براندى هينيسى المعتق ، تحية وتقديرا ٠

وانطلقنا بالسيارة ـ أليس وأنا ـ الى شارع شارلوت . والتزمنا الصمت ، يفكر كل منا فى معقبات الموقف وتطوراته . ولما اقتربنا من وجهتنا سمعت أليس تصارحنى بما كان يجول بخاطرها قائلة ، «ماكان دالبى ليجرأ على محاولة شىء من هذا القبيل » . وكانت فى صوتها رنة اعجاب ٠ فسلمتها الملف قائلا : « رقمى هذا الملف ، وأودعيه درج مكتبى . وبعد ظهر هذا اليوم ، أقبلت أليس تحمل الملفين الآخرين المذين كانا بسيارة ووترمان ٠ ان أليس لا يفوتها شىء ٠

واتصل بى روس فى المساء تليفونيا ، قائلا انه يجب أن نتقابل بشأن جاى ٠ وعقد اجتماع منى ومن كارسويل ومن بيتر ومن روس ٠ وقد انتهى هذا المؤتمر الى ما كان يجب أن ينتهى اليه ، من تقاضى جاى ١٦٠ر٠٠٠ جنيها أتعابا له ٠ ومن انقلاب سيارة « جنسين » براكبها الوحيد فى يوم السبب بتجاوزها السرعة المعقولة ٠ وكان راكبها مستر دالبى الذى أثبت الكشف الطبى أن وفاته كانت نتيجة لاصطدام السيارة بالحاجز وانقلابها ٠

وكان أمامنا الكثير من الاعمال التى تتصل بموضوعنا هذا ٠ ومن ذلك ، الطلب الذى تقدم به كوبلاى خان ، من وود جرين ، لمنحه الحصانة الدبلوماسية ، والذى رفض لاعتبارات كثيرة ، وانبنى على رفضه الاستمرار فى اتخاذ الاجراءات القانونية ضده ٠ وكان على ان اشكر كبرت عرضه ببرقيته التى تسلمتها فى الجزيرة ٠ كما كان على أن أسدد لألف كيتنج دينه ٠

وفى يوم الثلاثاء ، استقبلت زائرا ، هو البريجادير الامريكى من توكوى ٠ وكان يحمل معه صندوقين من الورق المقوى ٠ ومن الصندوقين أخرج لوحا من الخشب يبلغ الستة أقدام طولا وفى طرفيه مصباحين مما يوضع فى مؤخرة السيارات ٠ وبهذين المصباحين المثبتين على هذا اللوح الخشبى الموضوع فى مؤخرة دراجة بخارية ، خيل الى

اننى أتبع سيارة ليلة القبض على فى توكوى • وبعد أن تم لدالبى ما اراد من استدراجى ، عمل على قتل الشاهد الوحيد ، وألقى به فى البحر ، تم ألقى بالدراجة البخارية بعد مسافة قصيرة ، وهو يأمل أنهم سيكتشفون كل شىء وأن وجودى بالقـــرب من مكان الحادث سيضعنى موضع الاتهام • وكان أن ألقى الامريكيون القبض على فى الظروف التى أوضحتها • ثم تدخل جاى برجاله ليخطر الامريكيين بأن البريطانيين يطالبون بتسليمى اليهم • وهذا ما تم لجاى الذى نقلنى الى المملـكة المتحدة •

وقدرت لهذا الضابط ما قام به • وشعرت أنه كان يريد أن يقدم الى خدمة بالكشف عما غمض من أمور • وأحطته علما بمقتل دالبى ، ولم يدهش لذلك أو يفاجأ به • ولم يعلق بأكثر من دالبى قد تأثر بدعايات الحمر ، مبديا أسفه لذلك ، أكثر من أسفه لمقتله •

أما عن « ملف هنرى » فلم يزد عليه شىء جديد • ولم يستجد من الامور ما هو جدير بأن يضاف الى محتوياته • وكان لكل نظرياته فى هذا الموضوع • وقالت جين فى ذلك أنه لو قـدر لنـــا أن نتحقق من شخصية هنرى ، فسيتضح لنا أنه أحد أقرباء تشكيف •

وكنت ألتقى بجاى فى المؤتمرات الشهرية التى أجتمع فيها بروس، لنعد تقريرنا الدورى لمخابرات الجيش • وكنت أراه ســـعيدا ، بادى الكفاءة والمقدرة •

وكنت كلما أردت مقابلته ، أجده فى الميرابل • وفى صباح السبت الماضى التقيت به مصادفة فى الليدز • ودعانى لتناول العشاء معه أنا وجين ، واعداد الطعام بنفسه لنا • وكنت احب أن ألبى دعوته ، ولكننى لا أظن أننى سأفعل هذا ، لأنه ليس من الحكمة الاكثار من الاصدقاء فى مثل عملى هذا •

تلك هى القصة التى انتهت بفشل جماعة « ابكريس » •

وتلك هى تفصيلات نهاية هذه الجماعة وخيبة أملهم •

وهذا هو ما رويته للوزير المسئول ، الذى جلس يستمع الى فى انصات ولهفة ودهشة •

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر

قدمت لك في الشهر الماضي

الإمام الشافعي بقلم عبد الحليم الجندي

أنياب التنين ترجمة د. نظمي لوقا

دعني لزوجي بقلم سعاد حامي

إلى العيون الضاحكة شعر مازن النقيب

أحلام الزورق الغريق شعر عبد القادر حميدة

وتقدم لك خلال
الأيام القادمة

قصائد من برتولد برخت
ترجمة
د. عبدالغفار مكاوى

قلب ضعيف
ترجمة
د. سامى الدروبى

الاستعمار الجديد
بقلم
عبدالفتاح أبوالفضل

ملامح درامية فى المسرح الإغريقى
بقلم
د. على نشوز

الكرة ورأس الرجل
بقلم
محمد حافظ رجب

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة

العدد القادم

حسناء الغابة

ترجمة حسين القبانى

دار الكاتب العربي
للطباعة والنشر

تلتقي بالقارئ في
طريق المعرفة والثقافة

فتصدر السلاسل
الجديدة الآتية

من الأدب الشعبي

• مكتبة فلسطين

• كتاب جديد

• دراسات آسيوية وأف

914
76
02234449
مكتبة الإسكندرية

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالقاهرة